أين المفر

ورسائل مهمة

فضيلة الشيخ الدكتور
سعيد عبد العظيم
غفر الله له ولوالديه ولسائر المسلمين

دار القمة
اسكندرية

دار الإيمان
اسكندرية

بسم الله الرحمن الرحيم

ربَّنا تقبَّلْ منَّا
إنَّكَ أنتَ السَّميعُ العَليمُ

محفوظة
جميع الحقوق

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
إسكندرية ٥٤٥٧٧٦٩

رقم الإيداع ٨٣١٣ / ٢٠٠٥
الترقيم الدولي
977-331-404-9

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
١٧ شارع جليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
تليفون وفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٥٤٤٦٤٩٦

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مُقَدِّمَة

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد:

فما من نبيّ إلاَّ وبُعث بلسان قومه ليُبيّن لهم، وقد أُمرنا أن نُخاطب الناس على قدر عقولهم، فما أنت بمحدث قوماً حديثًا لا تبلغه عقولهم إلاَّ كان لبعضهم فتنة، ومن المعلوم أن خطاب الكبير يفترق عن خطاب الصغير، والعالِم يفترق عن الجاهل..

والأسلوب المستخدم في الخطبة يختلف عن أسلوب البحث والتأليف، وكل ذلك يتم دون تغيير أو تبديل ﴿ **قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ** ﴾ [يونس: ١٥]، فما يسع أحداً مصادمة نصوص الشريعة لا في بداية الطريق ولا في نهايته، ولا في الوسيلة والغاية.

وقد يلجأ الإنسان إلى الإجمال تارة وإلى التفصيل تارة

أخرى، ولكل مقام مقال، فأحيانًا تجد العالم يفسر ويوضح مفردات الكلمات ويكتفي بذلك، وأحيانًا أخرى يعقد بحثًا في تفسير الآية كما صنع القرطبي في تفسير آيات الأحكام، فإذا مرّ بآية فيها ذكر البيع أو الربا أو الطلاق.. تكلّم على تفاصيل البيوع والطلاق والربا، مما نجده في كتب الفقه، وكما صنع القاسمي في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]، فقد عقد بحثًا في نحو مئة صفحة في تفسير الآية يتعلق بموضوع الإيمان والكفر، وذلك في كتابه «محاسن التأويل».

والناس يحتاجون لهذا وذاك، وما لا يتناسب مع هذه الفئة قد يتناسب مع الفئة الأخرى، والمهم إبلاغ الحق للخلق، واستفراغ الوسع في العلم النافع والعمل الصالح وتعبيد الدنيا بدين الله، وتضافر الجهود على ذلك، فمن الناس من يصلح للتدريس للمرحلة الابتدائية، ومنهم من يصلح خطابه لطلاب الجامعة، وكلاهما يُسدي نفعًا وخدمة ويسُد ثغرة، وقد لا يستطيع الأول القيام بدور

الثاني، والثاني لا يُحسن في موضع الأول، وحسْب الجميع أن يُخلص عمله لله، و أن يحرص على إتقان مهمته ودوره، ولا يُبالي إن وضعوه في المقدمة أو في المؤخرة، فالسهم الواحد ثلاثة يدخلون به الجنة، والدال على خير كفاعله.

وكل مسلم ينبغي عليه أن يكون له دور في النهوض بواجب الدعوة، سواء بماله أو دعائه، بشعره أو نثره، بخطبته أو درسه، بتعاهده الصغار أو الكبار، بسلوكه وقوله، وينهج في ذلك كله منهج الأنبياء والمرسلين، ويستخدم لذلك الأساليب المباحة والمشروعة كالشريط والكُتيب، والدلالة على الدرس النافع المفيد..

ودور المسلم لا ينبغي أن يقل عن دور الهدهد الذي أتى نبيّ الله سليمان عليه السلام يقول له: ﴿ **أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ** ﴿٢٢﴾ ﴾ [النمل: ٢٢]، فهو في طيرانه بحثًا عن الماء لا ينسى دعوته، وكذلك أنت لا تنسَ وظيفتك الحقيقية في إبلاغ دين الله، حتى وإن كنت طبيبًا أو مهندسًا أو عاملاً أو طالبًا.

ولعل الله أن يبارك في دعوتك حتى وإن كنت مغموراً، كما بورك في دعوة صاحب يس، وأصحاب الكهف، ومؤمن آل فرعون، وعبد الله الغلام، ولا تحقرن من المعروف شيئًا، ورُبّ مُبلّغ أوعى من سامع، ورُبَّ حامل فقه ليس بفقيه، وربّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ولأن يهدي اللهُ بك رجلاً واحداً خير لك من حُمر النعم.

ولا يليق بك مع علو همتك أن تبذل لدعوتك فتات وقتك، فالليل والنهار يصلح مجالاً للدعوة، وأقل القليل يُحدث أثرًا بفضل الله، ونحن لا نحرث في البحر، ولا نُؤذن في مالطة أو في خرابة؛ فالاستجابة تفوق الخيال، وإقبال الناس على طاعة ربهم يحفز النفوس الهامدة على بذل الوسع.

وقد رأيت أن أصنع ما صنعه بشر الحافي في تبسيط الوعظ القديم عندما قال: إن في هذه الدار نملة تجمع الحب في الصيف لتأكله في الشتاء، فبينما هي في يوم من الأيام، إذْ أخذت بفمها حبة وجاءها عصفور، فأخذها هي والحبة، فلا ما جمعت أكلت ولا ما أمّلت نالت.

وهذا مثال للموت الذي يأتي بغتة، وقد أُمرنا بالإكثار من ذكره، وإذا كان البعض يصف شيخ الإسلام ابن تيمية بأنه رجل خاصة، وابن القيم بأنه رجل عامة، فأين دورك أنت وخصوصًا ودعوتك دعوة عالمية، لا تقتصر على الملتحين والمنقبات، ولا على حيز المسجد ولا على الخطبة والدرس، ونحن نريد العودة بالنفس وبالأمة من حولنا لمثل ما كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته الكرام، فكان لابد من الارتفاع لمستوى هذه الدعوة المباركة واغتنام كل الفرص وتوجيه الدعوة لكل الفئات والطبقات.

وقد طرحتُ ما يُقارب المئة عنوان، تصلح للخطبة والدرس والوعظ والتذكير، وكان الغرض في البداية نزولها كمطويات مختصرة لا كأبحاث مطوّلة، وقد لاقت رواجًا وقبولاً بفضل الله، ولكن ظهرت الصعوبة – مع هذا العدد الكبير – في الطبع والتوزيع والنشر؛ ولذلك رأينا وضع هذه العناوين في مجلدات صغار عساها تؤدي نفس الفائدة والغرض.

والله نسأل أن ينفعنا وإياكم بها ﴿ **يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ**

﴿٨٨﴾ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الشعراء: ٨٨] وما كان فيها من صحة وصواب فمن الله، وما كان فيها من خطأ وقصور فمن نفسي ومن الشيطان، والله منه بريء، والله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كتبه

سعيد عبد العظيم

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

أين المفر؟

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد:

فأين المفر من الموت وسكرته، والقبر وضمته، والصراط وحدَّته، أين المفر من أيام ولحظات ولَّت وأدبرت، انتهت لذَّتها وبقيت حسرتها وتبعتها.

أين المفر من ذنوب علمناها، وحقوق نسيناها وفرائض أضعناها؟!، أين المفر فالموت في رقابكم، والنار بين أيديكم، فتوقعوا قضاء الله في كل يوم وليلة، لقد فضح الموت الدنيا، فلم يترك لذي عقلٍ فرحًا، فلا تغرّنكم الحياة الدنيا، فإنها دار بالبلاء محفوفة، وبالفناء معروفة، وبالغدر موصوفة، وكل ما فيها إلى زوال، وهي بين أهلها دول وسجال، لا تدوم أهوالها، ولن يسلم من شرّها نُزَّالها، بينما أهلها منها في رخاء وسرور، إذا هم منها في بلاء وغرور،

أحوال مختلفة، وأنتم فيها على سبيل من قد مضى، كانوا أطول منكم أعمارًا، وأشد منكم بطشًا، وأعمر ديارًا وأبعد آثارًا، فأصبحت أموالهم هامدة، وأجسادهم بالية، وديارهم خالية، وآثارهم عافية، فاستُبدلوا بالقصور المُشيّدة الصخور والأحجار في القبور، فأصبحوا بعد الحياة أمواتًا، وبعد نضارة العيش رفاتًا، فُجع بهم الأحباب، وسكنوا التراب، وارتحلوا فليس لهم إياب، وهيهات هيهات ﴿ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٠٠) ﴾ [المؤمنون: ١٠٠].

وكأن قد صرتم إلى ما صاروا إليه من البلى والوحدة في دار المثوى، وارتهنتم في ذلك المضجع، وضمكم ذلك المستودع، فكيف بكم لو قد تناهت الأمور، وبُعثرت القبور، وحُصّل ما في الصدور، ووقفتم للتحصيل، بين يدي الملك الجليل، فطارت القلوب؛ لإشفاقها من سالف الذنوب، وهُتكت عنكم الحُجب والأستار، وظهرت منكم العيوب والأسرار.

هنالك ﴿ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ [غافر: ١٧]، ﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَىٰ (٣١) ﴾ [النجم: ٣١]، ﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا (٤٩) ﴾ [الكهف: ٤٩].

أين المفر؟، فإنَّ الله لم يخلقكم عبثًا، ولم يدع شيئًا من أمركم سدى، وإن لكم معادًا، فخاب وخسر من خرج من رحمة الله، وحُرم الجنة التي عرضها السموات والأرض، واشترى قليلاً بكثير، وفانيًا بباقٍ، وخوفًا بأمن، ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين؟!، وسيخلفها من بعدكم الباقون، كذلك حتَّى تُردوا إلى خير الوارثين، في كل يوم وليلة تُشيّعون غاديًا، ورائحًا إلى الله عزَّ وجل، قد قضى نحبه، وانقضى أجله، ثم تضعونه في صدع الأرض، غير ممهد ولا موسّد، قد خلع الأسباب، وفارق الأحباب، وسكن التراب، وواجه الحساب، مرتهنًا بعمله، وفقيرًا إلى ما قدم، غنيًا عمَّا ترك.

أين المفر؟، أراحل أنت أم مُقيم؟، وإذا كنت مرتحلاً، فإلى أين؟، أإلى جنَّة أم إلى نار؟، فالحياة بغير الله سراب، يحسبه الظمآن ماءاً، حتَّى إذا جاءه لم يجده شيئًا ووجد الله عنده فوفَّاه حسابه والله سريع الحساب.

لا تدري بماذا يُنادى عليك غداً، أيُقال: يا عبد الله، سعدت سعادة لا شقاء بعدها أبداً، أم يُقال: شقيت شقاءاً لا سعادة بعده أبداً؟!، فأنصف نفسك، فرحالك تُشد، وأنفاسك تُعد، والعارية تُرد، والتراب من بعد ذلك ينتظر الخد، وعلى أثر من سلف يمشي من خلف، وما عُقبى الباقي غير اللحاق بالماضي، وما ثمَّ إلاَّ أجل مكتوب، وأمل مكذوب ﴿ **كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ** (١٨٥) ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، ولو دامت لغيرك ما انتقلت إليك، وأنت وهي سترتحلان إلى الله ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ** (٤٠) ﴾ [مريم: ٤٠].

فلما الاغترار، وهل الدنيا إلاَّ مركب ركبته، أو ثوب لبسته، أو امرأة أصبتها؟! إنَّ المؤمنين لم يطمئنوا إلى الدنيا لبقائهم فيها، ولم يأمنوا قدوم الآخرة عليهم، ولم يصمهم عن ذكر الله ما سمعوا بآذانهم من الفتنة، ولم يُعمهم عن نور الله ما رأوا بأعينهم من الزينة، ففازوا بثواب الأبرار، إنَّ أهل التقوى أيسر أهل الدنيا مؤونة، وأكثرهم لك معونة، إن نسيت ذكّروك، وإن ذكرت أعانوك، قوَّالين بحق الله، قوَّامين بأمر الله، فأنزل الدنيا كمنزل نزلت به وارتحلت منه، أو كمال أصبته في منامك، فاستيقظت وليس معك منه شيء، واحفظ الله تعالى ما استرعاك من دينه وحكمته، وقل لنفسك: أنا ذلك العبد المذنب المسيئ، أمرتني فلم أأتمر، وزجرتني فلم أنزجر، هذا عبدك بين يديك ولا أعتذر.

أين المفر؟، والعبد مسئول عن لفظه، ويُحصى عليه ذلك كله، أحصاه الله ونسوه، ويوضع ذلك في كتاب لا يُغادر صغيرة ولا كبيرة إلاَّ أحصاها، ووجدوا ما عملوا حاضرًا، ولا يظلم ربك أحدًا، فإذا تكلمت فاذكر سمع الله إليك، وإذا هممت فاذكر علمه بك، وإذا تفكَّرت فاذكر

اطلاعه عليك، فإنه يقول: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً (٣٦)﴾ [الإسراء: ٣٦].

تُطوى الصحف، وتُرفع الأعمال، وسهام الليل لا تُخطئ، ودعوة المظلوم تُرفع دون الغمام، ويقول الله: «**وعزَّتي وجلالي لأجيبنك ولو بعد حين**» وضمَّة القبر تنسي ليلة العرس، وعند الله تجتمع الخصوم، قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ (٤٧)﴾ [الأنبياء: ٤٧].

أين المفر من يوم عظيم، قال عنه سبحانه: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ(٣٠)﴾ [آل عمران: ٣٠]، ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (٣٧)﴾ [عبس: ٣٤ - ٣٧]، ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً (٢٧) يَا وَيْلَتَىٰ

لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلاً (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً (٢٩) ﴾ [الفرقان : ٢٧ – ٢٩] ، ﴿ **يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ (٢)** ﴾ [الحج : ٢] .

وتأتي نفس تقول : ﴿ **يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ** ﴾ [الزمر : ٥٦] ، وتقول الأخرى : ﴿ **هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ (٤٤)** ﴾ [الشورى : ٤٤]، وثالثة تقول : يا ليتنا ﴿ **نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ** ﴾ [الأعراف : ٥٣] .

فاعمل عمل رجل لا ينجيه إلاَّ عمله، وتوكّل توكّل رجل لا يصيبه إلاَّ ما كتب له، واحذر ما كان يحذره الأفاضل ﴿ **وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ (٤٧)** ﴾ [الزمر : ٤٧] ، واعلم أنك موقوف بك بين يدي الله، ومسئول عن شبابك فيما أفنيته، وعمرك فيما أمضيته، ومالك من أين أخذته وفيما أنفقته، ومن نوقش الحساب عُذب، فأعد للسؤال جوابًا، وإن كنت ممن خرَّب آخرته وعمَّر دنياه، فراجع نفسك، وأحسن ما بينك وبين ربك

يُحسن لك ما بينك وبين الخلق، ولمصانعة وجه واحد أيسر من مصانعة الوجوه كلها.

أين المفر؟، أنت تُسئل في قبرك عن ربك ودينك، وماذا تقول في الرجل الذي بُعث فيك، فإن كنت مؤمنًا أجبت بلسان فصيح: ربي الله، وديني الإسلام، والرجل الذي بُعث فينا هو محمد ﷺ، آمنت به وصدَّقت، ما تحتاج لملقّن ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [فصلت: ٣٠] وإن كان العبد فاجرًا، قال: هاه هاه، سمعت الناس يقولون شيئًا فقلت، فيقال له: لا دريت ولا تليت، ويُضرب بمرزبة، لو سمعها الثقلان لصُعقوا.

فحياتك ولحظاتك وأنفاسك؛ يجب أن تكون إجابة على هذه الأسئلة الثلاثة، واصدق فالصدق منجاة، قبورٌ خرّقت الأكفان ومزَّقت الأبدان، مصَّت الدم وأكلت اللحم، تُرى ما صنعت بهم الديدان، محت الوجوه، وكسرت الفقار، وأبانت الأشلاء، ومزَّقت الأعضاء، تُرى أليس الليل والنهار عليهم سواء؟، أليس هم في مدلهمَّة ظلماء؟، كم

من ناعم وناعمة أصبحت وجوههم بالية وأجسادهم عن أعناقهم نائية، قد سالت الحدق على الوجنات، وامتلأت الأفواه دمًا وصديدًا، ثم لم يلبسوا والله إلاَّ يسيرًا حتَّى عادت العظام رميمًا.

وتخيّل نفسك أثناء المرور على الصراط، وهو دحض مزلة، ولابد لك من نور، ومن الخلائق من يمر عليه بسرعة البرق أو الريح، ومنهم من يمشي مشيًا، ومنهم من يحبو حبوًا، ومنهم من تخطفه كلاليب جهنَّم فتهوي به في قعرها، ويُعطى المنافقون نورًا على قدر عملهم الظاهر، فإذا توسطوا الجسر أُطفئ ما بأيديهم من مصابيح، فيقولون لركب الإيمان: انظرونا نقتبس من نوركم، فيقولون لهم: ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورًا، فيُضرب بينهم وبين المؤمنين بسور له باب، باطنه الذي يلي المؤمنين فيه الرحمة، وظاهره الذي يلي المنافقين فيه العذاب، فتهوي بهم كلاليب جهنم في قعرها.

فتخوّف على نفسك النفاق، واعلم أنك من الورود على يقين، ومن النجاة في شك ﴿ **وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ**

رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا (٧٢) ﴾ [مريم: ٧١، ٧٢].

كان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: «لو أعلم أنَّ الله تقبَّل منِّي سجدة لكان فرحي بالموت أشد من فرح الأهل بقدوم الغائب»، وذلك لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ(٢٧) ﴾ [المائدة: ٢٧].

أين المفر؟، أنفرُّ من مهاد ووهاد إلى جبال وقلاع وحصون؟!، أنفرّ من بلد إلى بلد؟! نحن نفر من قدر الله إلى قدر الله، والفرار الحق يجب أن يكون إلى الله ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٥٠) ﴾ [الذاريات: ٥٠].

لقد خوطب الجيش يومًا وقيل له: البحر أمامكم، والعدو وراءكم، فكان لابد من جهاد كبير، وطلب لإحدى الحسنيين، إما النصر وإما الشهادة، فإذا قيل لك أين المفر، فقل: وعجلت إليك رب لترضى، فلست تخرج من سلطانه إلى سلطان غيره، ولا من ملكه إلى ملك غيره، فخف من الله على قدر قربه منك، على قدر قدرته عليك.

إذا خلوت الدهر يومًا فلا تقل
خلوت ولكن قل عليَّ رقيب
ولا تحسبنَّ الله يغفل ساعة
ولا أنَّ ما يخفى عليه يغيب

أين المفر؟، آية وردت في سورة القيامة، وسبقها قوله تعالى: ﴿ **فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ (٧) وَخَسَفَ الْقَمَرُ (٨) وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ (٩) يَقُولُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ (١٠)** ﴾ [القيامة: ٧ – ١٠]، وتلاها قوله تعالى: ﴿ **كَلاَّ لا وَزَرَ (١١) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ (١٢) يُنَبَّأُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ (١٣) بَلِ الإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (١٤) وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ (١٥)** ﴾ [القيامة: ١١ – ١٥].

فما الذي عملته منذ جرى عليك قلم التكليف ﴿ **أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ (٣٧)** ﴾ [فاطر: ٣٧]، جاءك النذير بالمشيب أو بلوغك سن الأربعين، وأعذر الله إلى رجل بلغ به ستين سنة، فتذكر أنَّه لا ملجأ ولا منجا من الله إلاَّ إليه، ولا عاصم من أمر الله إلاَّ من رحم، وما ربك بظلام للعبيد.

وتذكر أيضًا تطاير الصحف، فمن الناس من يأخذ كتابه بيمينه، ومنهم من يتناوله بشماله ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ (١٩) إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ (٢٠) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (٢١) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (٢٢) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (٢٣) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ (٢٤) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (٢٥) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (٢٦) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (٢٧) مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ (٢٩) خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (٣١) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (٣٢)﴾ [الحاقة: ١٩ - ٣٢].

الخاتمة مطوية والحال مريب، وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول: «ثلاث أضحكتني حتَّى أبكتني: طالب دنيا والموت يطلبه، وضاحك ملء فيه ولا يدري أأرضى ربه أم أسخطه، وغافل ليس بمغفول عنه».

توهم نفسك ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٦)﴾ [المطففين: ٦]، وقد علاك العرق، وأطبق عليك الغم، وضاقت نفسك في صدرك من شدة الفزع والرعب، والناس

معك منتظرون لفصل القضاء ﴿ **فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ** ﴿٧﴾ ﴾ [الشورى: ٧]، ودعوى الخلائق يومئذ ربّ سلّم سلّم، وينشغل أولو العزم من الرسل بأنفسهم، كلهم يقول: نفسي نفسي ﴿ **يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا** ﴾ [النحل: ١١١] ولا يجيبهم يومئذ إلاَّ النَّبيّ ﷺ، لتعجيل عرضهم، والنظر في أمورهم.

فبادروا بالأنفاس، فلو حُبست انقطعت عنكم أعمالكم، وأنتم بحاجة لحسنة تُثقل الميزان، بحاجة لتسبيحة أو تحميدة، أو استغفارة، ولعلَّ الكلمة التي تتناول بها كتابك بيمينك غداً لم تقلها بعد، والرويَّة في كل أمر خير إلاَّ ما كان من أمر الآخرة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

إن ربك لبالمرصاد

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد :

إنَّ من أصبح بلذَّاته مغتبطًا، أين من كان أمره فرطًا؟!، ندم إذا ارتكب غلطًا، أين من سلك سبيلاً شططًا؟!، نزل لحدًا وجاءه الملكان فأفزعا وأقرطا، وافتضح بقبيح، وانكشف الغطاء، قل للمشغولين بالفساد، الواقفين مع العناد: إلى متى ظلم العباد؟!، كم مُستلب ما نال المراد ﴿ **إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ** ﴿١٤﴾ ﴾ [الفجر: ١٤] أما عاد العذاب على عاد؟، أين من ادَّعى الربوبية أو كاد؟ كاده الجبار فيمن كاد ﴿ **إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ** ﴾ .

بينما هم في ظُلم المظالم سُئل على أقبح فعله الظالم، فبات يقرع سِن نادم، ولكن وقت الكساد، فلا تغتر بمالك وقصرك، ولا تعجب بنهيك وأمرك، يا طائر الهوى ستُؤخذ

من وكرك، وما تُعجز الصياد ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾ .

من لك إذا سُئلت عن خلقك وجُوزيت بأقبح عملك؟ كم أرشدك إلى رشادك وأنت على فسادك؟ كم أدعوك إلى إسعادك وأنت مُقيم على ضلالك، ضُرِب بوق رحيلك وما اهتممت بزادك، أنا في وادٍ وأنت في واد، لقد بالغت لك في النصائح وقمت منذراً عُقبى القبائح، والطريق واضح، والعَلَم لائح ﴿ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٣٣) ﴾

[الرعد: ٣٣].

لقد أقسم سبحانه قسماً عَلِم مضمونه أولو الأحلام والنُّهى ، فقال: ﴿ وَالْفَجْرِ (١) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (٢) وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ (٤) هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ (٥) ﴾

[الفجر: ١– ٥] .

﴿ لِّذِي حِجْرٍ ﴾ أي لذي لُب وعقل، وقيل جواب القسم ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾ أو لتعذبن يا كفار مكة، وبين القسم وجوابه تذكير ببعض الهلكى من الأفراد والجماعات، يقول تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧)

الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (٨) وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (٩) وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ (١٠) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (١١) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (١٢) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (١٣) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ (١٤) ﴾ [الفجر: ٦ - ١٤].

والخطاب وإن توجه للنبي ﷺ إلاَّ أنه يعمّ الجميع، وكان أمر عاد وثمود عندهم مشهوراً، إذْ كانوا في بلاد العرب، وحِجْر ثمود موجود اليوم، يمر الناس عليه، وهي ديار صالح، لما دخلها البعض، قال النَّبيُّ ﷺ: «**لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلاَّ أن تكونوا باكين، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم؛ أن يُصيبكم ما أصابهم**».

وأما قوم عاد، فآثارهم قيل في الربع الخالي، وأمر فرعون كانوا يسمعونه من جيرانهم من أهل الكتاب، واستفاضت به الأخبار، وبلاد فرعون متصلة بأرض العرب.

وقد كان قوم عاد من العماليق، وهم الذين عناهم الحق سبحانه بقوله: ﴿ **فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ**

﴿ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (١٥) ﴾ [فصلت : ١٥] وكانوا كفاراً جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله، واتبعوا أمر كل جبّار عنيد، وقال لهم نبيّهم هود : ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ (١٢٨) وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ (١٢٩) وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ (١٣٠) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٣١) وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ (١٣٢) أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ (١٣٣) وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٣٤) ﴾ [الشعراء : ١٢٨ – ١٣٤].

فلم يرفعوا بذلك رأسًا ﴿ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (٥٣) إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (٥٤) مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ (٥٥) ﴾ [هود : ٥٣ – ٥٥].

وقد أهلكهم سبحانه بالريح العقيم على الرغم من ضخامة أجسامهم، وكان دمارهم فيما استبشروا به، قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٤) تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي

الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأحقاف: ٢٤، ٢٥]، وقال: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [فصلت: ١٦]، وقال: ﴿ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلاَّ جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ ﴾[الذاريات: ٤١، ٤٢].

أما ثمود فهم من نحت الجبال والصخور والرخام، كما قال المفسرون، فبنوا من المدائن ألفًا وسبعمائة مدينة، كلها من الحجارة، ومن الدور والمنازل ألفي ألف وسبعمائة ألف كلها من الحجارة، وقد قال تعالى: ﴿ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الحجر: ٨٢] ، وكانوا لقوتهم يُخرجون الصخور وينقبون الجبال ويجعلونها بيوتًا لأنفسهم، كانوا كفاراً وكانوا مفسدين ﴿ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾

[النمل: ٤٨].

ولما سألوا نبيهم صالح آية على نبوته، خرجت لهم ناقة

عظيمة من الصخر، فقال: لها شرب ولكم شرب يوم معلوم، وحذَّرهم من أن يمسوها بسوء، فخرج قُدار بن سالف - بموافقة قومه - فعقرها وهو أشقى القوم، يقول سبحانه: ﴿ **فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا (١٤) وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا (١٥)** ﴾ [الشمس: ١٤، ١٥].

وقد توعدهم نبيّ الله صالح عليه السلام بحلول العذاب بعد ثلاثة أيام من قتل الناقة ﴿ **فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ (٦٥)** ﴾ [هود: ٦٥]، و كان هلاكهم بالصاعقة والصيحة والرجفة، ونجا صالح عليه السلام والذين آمنوا معه من هذا العذاب ﴿ **فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لاَّ تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ (٧٩)** ﴾ [الأعراف: ٧٩].

لقد هلكت ثمود كما دُمرت عاد ﴿ **وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ (٥٠) وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَىٰ (٥١)** ﴾ [النجم: ٥٠، ٥١] أما فرعون ذي الأوتاد، فقد ادَّعى الربوبية والألوهية مع الله، وقال: ﴿ **أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ (٢٤)** ﴾ [النازعات: ٢٤]، وقال:

﴿ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي ﴾ [الزخرف: ٥١] أفسد في الأرض وكان سفيهًا، ورغم ذلك قال لقومه: ﴿ مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ(٢٩) ﴾ [غافر: ٢٩] لقد ضُرب به المثل، والأوتاد هي الجنود والعساكر والجموع والجيوش التي تشد ملكه على قول ابن عباس رضي الله عنهما ، أو هي التي كان يُعذب بها الناس ويشدهم بها إلى أن يموتوا، تجبُرًا منه وعُتوًا، وهكذا فعل بامرأته آسية وماشطة ابنته، وقيل: كانت له صخرة تُرفع بالبكرات، ثم يُؤخذ الإنسان فتوتد له أوتاد الحديد، ثم يُرسل تلك الصخرة عليه فتشدخه.

وأيًا ما كان، فقد كان طاغيًا مُفسدًا في الأرض، ورغم ذلك قال عن نبيّ الله موسى عليه السلام: ﴿ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الْفَسَادَ (٢٦) ﴾ [غافر: ٢٦] ولم يكتف بذلك، بل حشد الجموع للإجهاز عليه ومن آمن معه ﴿ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ (٦٠) فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (٦١) قَالَ كَلاَّ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ (٦٢) ﴾ [الشعراء: ٦٠ – ٦٢] وما كاد نبيّ الله موسى يقولها إلاَّ

وأُمر ﴿ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ(٦٣) ﴾ [الشعراء: ٦٣].

وإذا كان فرعون قد ادَّعى يومًا أنَّ الأنهار تجري من تحته، فإنَّ الله بقدرته أجراها من فوق رأسه جزاءً وفاقًا ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ (٤٦) ﴾ [فصلت: ٤٦].

ثم إنَّ فرعون عندما أدركه الغرق قال: ﴿ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩٠) ﴾ [يونس: ٩٠] فقيل له: ﴿ آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٩١) فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً ﴾ [يونس ٩١].

فالعبد تُقبل توبته ما لم يُغرغر، وما لم تتردد الروح في الحلقوم، وهلك فرعون مع الهالكين، وبقي عبرة للمعتبرين ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾ أي يرصد عمل كل إنسان حتَّى يُجازيه به.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إنَّ على جهنم سبع قناطر، يُسأل الإنسان عند أول قنطرة عن الإيمان، فإن جاء به تامًا جاز إلى القنطرة الثانية، ثم يُسأل عن الصلاة فإن جاء بها

جاز إلى الثالثة، ثم يُسأل عن الزكاة، فإن جاء بها جاز إلى الرابعة، ثم يُسأل عن صيام شهر رمضان فإن جاء به جاز إلى الخامسة، ثم يُسأل عن الحج والعمرة فإن جاء بهما جاز إلى السادسة، ثم يُسأل عن صلة الرحم فإن جاء بها جاز إلى السابعة، ثم يُسأل عن المظالم، وينادي منادٍ ألا من كانت له مظلمة فليأت، فيُقتص للناس منه، ويُقتص له من الناس، فذلك قوله عزَّ وجل: ﴿ **إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ** ﴾.

إنَّ الله تعالى يسمع أقوال الخلق ونجواهم ويعلم أعمالهم وأسرارهم فيُجازي كلاً بعمله، قال تعالى: ﴿ **أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾** ﴾ [العلق: ١٤] ولما قيل للبعض: أين ربك؟ فقال: بالمرصاد.

وقرأ البعض سورة الفجر عند المنصور، حتَّى بلغ هذه الآية: ﴿ **إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ** ﴾ فقال: يا أبا جعفر، فهذا وعيد للجبابرة، وكأنه أراد أن يدق الظلمة بإنكاره، ويقمع أهل الأهواء والبدع باحتجاجه، فقبل أن تُقدم، اعلم أنَّ الله مُجازيك بقبيح فعلك، وقد يعاجلك بالانتقام منك، قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ**

عَزِيزٌ ذُو انتقَامٍ ﴿٤﴾ ﴾ [آل عمران: ٤١]، وقال سبحانه: ﴿ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتقَامٍ ﴿٩٥﴾ ﴾ [المائدة: ٩٥]، وقال: ﴿ فَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتقَامٍ ﴿٤٧﴾ ﴾ [إبراهيم: ٤٧]، وقال: ﴿ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الروم: ٤٧]، وقال: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [السجدة ٢٢]، وقال لنبيه ﷺ: ﴿ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [الزخرف: ٤١].

وقال عن فرعون وقومه: ﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلاً لِّلآخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الزخرف: ٥٥، ٥٦]، وقال: ﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الدخان: ١٦].

والمنتقم هو الذي يقصم ظهور العتاة، ويُنكل بالجناة، ويُشدد العقاب على الطغاة، وذلك بعد الإعذار والإنذار، وبعد التمكن والإمهال، والخلق يدورون في الدنيا والآخرة، بين فضل وعدل، فمن دخل الجنة فهو المحمول على فضل

الله، ومن هلك في الدنيا وعُذِّب في الآخرة، فهو المحمول على عدل الله.

﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾ قيل: إذا انتقمت ممن هو دونك، فلا تأمن أن ينتقم منك من هو فوقك، وإذا دعتك قدرتك إلى ظلم الناس فتذكر قدرة الله عليك.

فيا أيها الظالم في فعله - والظلم مردود على من ظلم - تذكر ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ (١٦) ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ (١٧) كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (١٨) ﴾ [المرسلات: ١٦ - ١٨].

حدد النَّبيّ ﷺ مصارع القوم يوم بدر، فهذا مصرع أبي جهل، وهذا مصرع عُتبة، وهذا مصرع شيبة بن ربيعة... فما تجاوزوا الأماكن التي حددها رسول الله ﷺ، وجعل يُناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: «**يا فلان بن فلان، ويا فلان بن فلان، أيسرُّكم أنكم أطعتم الله ورسوله؟ فإنَّا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًا، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقًا؟**» فقال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله، ما تكلم من أجساد لا أرواح لها، فقال رسول الله ﷺ: «**والذي نفس محمد**

بيده، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم» [رواه البخاري]، قال قتادة: أحياهم الله حتَّى أسمعهم قوله، توبيخًا وتصغيرًا ونقمة وحسرة وندمًا.

عباد الله، أين الجبارون؟! وأين ما قصدوا؟! وأين أرباب المعاصي على ماذا وردوا ؟! أين قوم نوح وعاد وثمود وقرونًا بين ذلك كثيرًا، سارت بهم الأيام والليالي سيرًا حثيثًا إلى ربهم وقدمت بهم على أعمالهم ، ﴿ **هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾** ﴾ [مريم: ٩٨].

إذا رأيتم من تطاول على عباد الله، وكفر بالله، وادعى القوة والجبروت، وأنه لا أشد منه، فقولوا له: ﴿ **إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ** ﴾، ففعله بقوم عاد هو فعله بك، إن لم ترتدع عن بغيك وظلمك وتتوب إلى ربك، لقد قُتل صاحب يس ظُلمًا وعدوانًا، فهان الكفرة على ربهم، قال تعالى: ﴿ **وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ مِن بَعْدِهِ مِن جُندٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴿٢٩﴾** ﴾

[يس: ٢٨، ٢٩].

ودخلت امرأة النار في هرة حبستها، لا هي أطعمتها إذْ حبستها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض، وعقرت ثمود الناقة تعدياً لحدود الله، فاستحقوا الهلاك، قال تعالى: ﴿ فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴿١٥﴾ ﴾ [الشمس: ١٤، ١٥]، فكيف بمن قتل شيوخاً رُكَّع، وبهائم رُتَّع وأطفالاً رضّع، وروَّع البلاد والعباد ببطشه وطغيانه، قولوا له: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾، قال تعالى: ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الأعراف: ٩٧ – ٩٩] وقال: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ ﴾ [العنكبوت: ٤٠].

أيها الظالم تنام عيناك، والمظلوم منتبه يدعو عليك، وعين الله لم تنم، كيف تكون نجاتك لو رُفعت الدعوات دون الغمام؟!، وقال سبحانه: «**وعزتي وجلالي لأجيبنَّك ولو بعد حين**».

أين من ملكوا المشارق والمغارب؟!، أين بختنصر والنمروذ؟! فاعتبر أيها المغرور بالعمر المديد والحصن والقوة والبأس والملك المشيّد ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾.

إنَّ قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم، فأين هو الآن؟!، قال تعالى: ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ ﴾ [القصص: ٨١]، وأين فرعون وآله؟! ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ(٤٦) ﴾ [غافر: ٤٦].

اللحود بيوتنا بعد الترف واللين، والقيامة تجمعنا وتنصب الموازين ﴿ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴾ [الأنعام: ١٣٤] وكأن قد عاينت ما فعلت في الكتاب مسطوراً، وعلمت أنك كنت في الهوى مغروراً، ويا لها من آية لو نُقشت على قلبك لاستقام قولك وفعلك آية واحدة تكفيك ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

لكل نبأ مستقر

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد :

فالنصر عقبى الصابرين، والعاقبة للمتقين، وإنّ الله لا يصلح عمل المفسدين، ولا يضيع سبحانه أجر المحسنين، والناظر سيجد تدبير الكفرة تدميرهم، وكيدهم يرتد إلى نحورهم، وعلى الباغي تدور الدوائر، ومن سلَّ سيف البغي قُتل به، ومن حفر بئرًا لأخيه سقط فيه.

وهي السنن لا تعرف المحاباة ﴿ **وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً** (٦٢) ﴾ [الأحزاب : ٦٢]، ومن نظر في صفحات الكتاب المسطور والكون المنظور علم أنَّ لكل حق حقيقة، ولكل أجل كتاب، وأنَّ الظلم ظلمات، ولا يحيق المكر السيئ إلاَّ بأهله، وأنَّ الفرج مع الكرب، وأنَّ مع العسر يسرًا، ﴿ **وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً** (٤٣) ﴾ [فاطر: ٤٣].

أين من ملكوا المشارق والمغارب؟!، أين بختنصر والنمروذ؟! فاعتبر أيها المغرور بالعمر المديد والحصن والقوة والبأس والملك المشيّد ﴿ **إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ** ﴾.

إنَّ قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم، فأين هو الآن؟!، قال تعالى: ﴿ **فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ** ﴾ [القصص: ٨١]، وأين فرعون وآله؟! ﴿ **النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ** ﴿٤٦﴾ ﴾ [غافر: ٤٦].

اللحود بيوتنا بعد الترف واللين، والقيامة تجمعنا وتنصب الموازين ﴿ **إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ** ﴾ [الأنعام: ١٣٤] وكأن قد عاينت ما فعلت في الكتاب مسطوراً، وعلمت أنك كنت في الهوى مغروراً، ويا لها من آية لو نُقشت على قلبك لاستقام قولك وفعلك آية واحدة تكفيك ﴿ **إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ** ﴾.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

لكل نبأ مستقر

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد :

فالنصر عقبى الصابرين، والعاقبة للمتقين، وإنّ الله لا يصلح عمل المفسدين، ولا يضيع سبحانه أجر المحسنين، والناظر سيجد تدبير الكفرة تدميرهم، وكيدهم يرتد إلى نحورهم، وعلى الباغي تدور الدوائر، ومن سلَّ سيف البغي قُتل به، ومن حفر بئرًا لأخيه سقط فيه.

وهي السنن لا تعرف المحاباة ﴿ **وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً** (٦٢) ﴾ [الأحزاب : ٦٢]، ومن نظر في صفحات الكتاب المسطور والكون المنظور علم أنَّ لكل حق حقيقة، ولكل أجل كتاب، وأنَّ الظلم ظلمات، ولا يحيق المكر السيئ إلاَّ بأهله، وأنَّ الفرج مع الكرب، وأنَّ مع العسر يسرًا، ﴿ **وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً** (٤٣) ﴾ [فاطر: ٤٣].

أعشى البصر أو البصيرة، وتظل المعاني الإيمانية سالمة عن كل معارضة، نصدق شرع الله، ونكذب التجارب والنظريات والخبرات، بل ونكذب الدنيا بأسرها إن هي صادمت الكتاب والسُّنَّة، ولسان حالنا ومقالنا ينطق: آمنت بالله وكذبت عيني.

ولذلك نُقسم بالله أنَّ ما بعد الدنيا من دار إلاَّ الجنة أو النار، وأن الموت نهاية كل حيّ، والكل سيُعاني الموت وسكرته، والقبر وضمّته والصراط وحدّته، والناس بين آخذ كتابه بيمينه، وبين آخذ كتابه بشماله، وغداً ينكشف الغطاء ويتبين لمن كانت بضاعته النفاق أن ما حصله كان سراباً، وأنَّ القبر إما روضة من رياض الجنة وإمَّا حفرة من حفر النيران، فريق في الجنة وفريق في السعير.

وكل ما ورد في الكتاب والسُّنَّة لابد وأن يتحقق ويقع كما أخبر الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه، فالمسألة مسألة وقت، والوعد والوعيد كما أخبر القدير سبحانه ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾ [يس: ٨٢]، ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ ﴾ [مريم: ٦٤].

لقد أخبر النَّبيُّ ﷺ أمته عن طاعون عمواس، وحدث ذلك في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكان ذلك بعد فتح بيت المقدس، كما قال الحافظ ابن حجر، وقال: «**اعدد ستاً بين يدي الساعة**» فذكر منها فتح بيت المقدس» [رواه البخاري] وقد تم ذلك في عهد عمر رضي الله عنه سنة ست عشرة من الهجرة، وبنى بها مسجداً في قبلة بيت المقدس.

وقال تعالى: ﴿ **اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ** ① ﴾ [القمر: ١]، قال ابن مسعود رضي الله عنه: انشقّ القمر على عهد رسول الله ﷺ بشقّين، فقال رسول الله ﷺ: «**اشهدوا، اشهدوا**» [رواه مسلم].

وقد اتفق العلماء أنَّ القمر قد انشق في عهد رسول الله ﷺ، وأنَّ انشقاقه إحدى معجزات رسول الله ﷺ، ودليل من دلائل نبوّته.

وقد أخبر ﷺ عن استفاضة المال والاستغناء عن الصدقة، وقال: «**ليأتين على الناس زمان يطوف الرجل فيه بالصدقة من الذهب، ثم لا يجد أحداً يأخذها منه**» [رواه

مسلم] ، وقد كثر المال في عهد الصحابة ﷺ بسبب ما وقع من الفتوح، ثم فاض المال في عهد عمر بن عبد العزيز – رحمه الله – فكان الرجل يعرض المال للصدقة فلا يجد من يقبله.

وفي الحديث: «**لا تقوم الساعة حتَّى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى**» [رواه البخاري ومسلم]، وقد كان خروجها سنة (٦٥٤هـ)، ووصفها ابن كثير وأبو شامة والنووي وغيرهم.

وورد «**ألا إنَّ الفتنة ههنا، ألاَّ إنَّ الفتنة ههنا، من حيث يطلع قرن الشيطان**» [رواه الشيخان] ، فمن العراق وما والاها ظهر الخوارج، والشيعة، والباطنية، والقدرية، والجهمية، والمعتزلة، والمانوية، والمزدكية، والهندوسية، والبوذية، والقاديانية، والبهائية، والإلحاد، وسيكون ظهور الدجال ويأجوج ومأجوج من جهة المشرق، نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن.

وقد أخبر الصادق المصدوق عن فتنة مقتل عثمان ﷺ،

وكان عمر رضي الله عنه بمثابة باب كُسر على الفتنة، وقال ﷺ: «**كيف بإحداكن إذا نبحتها كلاب الحوأب**» [رواه أحمد والبزار والحاكم]، فلما بلغت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بعض ديار بني عامر نبحت عليها الكلاب فقالت: «أي ماء هذا؟» قالوا: الحوأب، قالت: «ما أظنني إلاَّ راجعة»، وساقت الحديث.

كما أشار النَّبيُّ ﷺ إلى موقعة صفين بقوله: «**لا تقوم الساعة حتَّى تقتتل فئتان عظيمتان من المسلمين، يكون بينهما مقتلة عظيمة دعواهما واحدة**» [رواه البخاري ومسلم] فالفئتان هما طائفة عليٍّ ومن معه، وطائفة معاوية ومن معه، على ما ذكر الحافظ ابن حجر.

ومن ذلك تقليد الأمم الماضية، واتباع طريقتهم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبيّ ﷺ، قال: «**لا تقوم الساعة حتَّى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها شبراً بشبر، وذراعاً بذراع**» فقيل: يا رسول الله، كفارس والروم؟ فقال: «**ومن الناس إلاَّ أولئك**» [رواه البخاري].

وظهور القلم، وتسليم الخاصة، وهو أن يُسلم الرجل على الرجل لا يسلم عليه إلاَّ للمعرفة، وانتفاخ الأهلة، وأن يُرى الهلال لليلة فيُقال لليلتين، وكثرة الكذب، وظهور الكاسيات العاريات والجلادين الظلمة، وانتشار الزنا، والربا، وشرب الخمر، وقتال الترك والعجم، وكثرة المطر، وقلّة النبات، وتطاول الناس بالبنيان ، وضياع الأمانة، وارتفاع الأسافل، وإسناد الأمر لغير أهله، وذهاب الصالحين، وقبض العلم وظهور الجهول، وإخراج الأرض كنوزها المخبوءة، وظهور المعازف واستحلال ذلك، وتقارب الأسواق والزمان، وكثرة القتل، وظهور الشرك في هذه الأمة، وظهور الفحش وقطيعة الرحم، وسوء الجوار، وتشبب المشيخة، فالبعض يصنع بلحيته كهيئة حواصل الحمام، يحلق عوارضه، ويترك ما على ذقنه من الشعر، ثم يصبغه بالسواد، فيغدو كحواصل الحمام .

ومن ذلك كثرة الشح، وصدق رؤيا المؤمن، وكثرة موت الفجأة، وتمني الموت من شدة البلاء، وكثرة النساء، وقلّة

الرجال، وتكليم السباع والجماد الإنس... وغير ذلك كثير من الأخبار الصادقة التي وقعت وتحققت

ومما يجعلك تقطع أنَّ لكل نبأ مستقر ما أخبر عنه الصادق المصدوق مما لم تشاهده بعد كحسر الفرات عن جبل من ذهب، وكثرة الروم وقتالهم للمسلمين، وفتح القسطنطينية، وعودة جزيرة العرب مروجًا وأنهارًا، ودروس الإسلام ورفع القرآن، وخروج القحطاني، وقتال اليهود، وخراب المدينة، وظهور المهدي والدجال ويأجوج ومأجوج، ونزول المسيح، وبعث الريح الطيبة لقبض أرواح المؤمنين، كل ذلك سيحدث وفق خبره صلوات الله وسلامه عليه، وما عليك إلاَّ أن تترك الواقع يُفسر لك هذه الأمارات وهذه العلامات، فلكل خبر حقيقة، ولكل شيء وقت يقع فيه.

فمن تعجّل شيئًا من ذلك، قيل له: فماذا أعددت لها؟ وهذا هو القدر النافع المفيد؛ فقد أتى أعرابيّ لرسول الله ﷺ يسأله بصوت جهوري، ويقول: يا محمد، متى الساعة؟ فأجابه النَّبي ﷺ بنحو من صوته، وقال: «**هاؤم، إنَّ الساعة لآتية فماذا أعددت لها؟**».

وظهور القلم، وتسليم الخاصة، وهو أن يُسلم الرجل على الرجل لا يسلم عليه إلاَّ للمعرفة، وانتفاخ الأهلة، وأن يُرى الهلال لليلة فيُقال لليلتين، وكثرة الكذب، وظهور الكاسيات العاريات والجلادين الظلمة، وانتشار الزنا، والربا، وشرب الخمر، وقتال الترك والعجم، وكثرة المطر، وقلّة النبات، وتطاول الناس بالبنيان ، وضياع الأمانة، وارتفاع الأسافل، وإسناد الأمر لغير أهله، وذهاب الصالحين، وقبض العلم وظهور الجهول، وإخراج الأرض كنوزها المخبوءة، وظهور المعازف واستحلال ذلك، وتقارب الأسواق والزمان، وكثرة القتل، وظهور الشرك في هذه الأمة، وظهور الفحش وقطيعة الرحم، وسوء الجوار، وتشبب المشيخة، فالبعض يصنع بلحيته كهيئة حواصل الحمام، يحلق عوارضه، ويترك ما على ذقنه من الشعر، ثم يصبغه بالسواد، فيغدو كحواصل الحمام .

ومن ذلك كثرة الشح، وصدق رؤيا المؤمن، وكثرة موت الفجأة، وتمني الموت من شدة البلاء، وكثرة النساء، وقلّة

الرجال، وتكليم السباع والجماد الإنس... وغير ذلك كثير من الأخبار الصادقة التي وقعت وتحققت

ومما يجعلك تقطع أنَّ لكل نبأ مستقر ما أخبر عنه الصادق المصدوق مما لم تشاهده بعد كحسر الفرات عن جبل من ذهب، وكثرة الروم وقتالهم للمسلمين، وفتح القسطنطينية، وعودة جزيرة العرب مروجًا وأنهارًا، ودروس الإسلام ورفع القرآن، وخروج القحطاني، وقتال اليهود، وخراب المدينة، وظهور المهدي والدجال ويأجوج ومأجوج، ونزول المسيح، وبعث الريح الطيبة لقبض أرواح المؤمنين، كل ذلك سيحدث وفق خبره صلوات الله وسلامه عليه، وما عليك إلاَّ أن تترك الواقع يُفسر لك هذه الأمارات وهذه العلامات، فلكل خبر حقيقة، ولكل شيء وقت يقع فيه.

فمن تعجّل شيئًا من ذلك، قيل له: فماذا أعددت لها؟ وهذا هو القدر النافع المفيد؛ فقد أتى أعرابيّ لرسول الله ﷺ يسأله بصوت جهوري، ويقول: يا محمد، متى الساعة؟ فأجابه النَّبي ﷺ بنحو من صوته، وقال: «**هاؤم، إنَّ الساعة لآتية فماذا أعددت لها؟**».

فالعتب على من يتيقن أنَّ وعد الله حق، ثم هو لم يستعد للقاء الله، ولم يُحسن المسير إلى الله، ولم يُطبق شرع الله في حياته الخاصة والعامة، وهذا الحال يُقرب للأذهان كيف ستقوم الساعة، ولا أحد في الأرض يقول الله الله، ولن تقوم الساعة حتَّى تضطرب إليات نساء دوس حول ذي الخلصة (صنم كانت تعبده دوس بتبالة)، وحتى تُعبد اللات والعزّى، ولن تقوم الساعة إلاَّ على شرار الناس، يحدث ذلك رغم معاينة الناس لأمارات الساعة، ورغم أنَّ الغيب يصير شهادة، فنعوذ بالله من الخذلان.

عباد الله، لقد علم الأنبياء والمرسلون أنَّ لكل نبأ مستقر، وقد أُمرنا بالاقتداء بهم ﴿ **أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ** ﴾ [الأنعام: ٩٠] واستقرت هذه الحقيقة عند الصالحين، ولذلك كان الشموخ والعلو في الحياة وعند الممات، تحقق بذلك أبو بكر وعمر، وخبيب وأنس بن النضر، وحذافة السهمي، ومن قبل صاحب يس وأصحاب الكهف، ومؤمن آل فرعون، وعبد الله الغلام... كلهم تحقق أنَّ لكل نبأ مستقر، إنَّها الطمأنينة الواثقة بالحق، والواثقة

بنهاية الباطل مهما تبجح، الواثقة بأخذ الله للمكذبين في الأجل المرسوم.

وما أحوج أصحاب الدعوة إلى الله في مواجهة التكذيب من قومهم، والجفوة من عشيرتهم، والغربة من أهلهم، والأذى والشدَّة والتعب في أقوامهم، ما أحوجهم إلى هذه الطمأنينة الواثقة التي يسكبها القرآن الكريم في القلوب، فإنَّ لكل نبأ مستقر ينتهي إليه ويستقر عنده، وعندئذ يعلمون ما سيكون، فكلمة الفضل لله، والأمر كله بيد الله، إجمال فيه من التهديد ما يُزلزل القول.

إنَّ الله غالب على أمره، ومُتم نوره ولو كره المشركون، والمستقبل للإسلام بغلبته وظهوره، حتَّى وإن كان واقعكم مُؤلمًا، وأمركم كاليتيم على موائد اللئام، ثقوا أنَّ وعد الله حق، وأنَّ دعوات الأسحار لا تُخطئ، وأن الاستقامة هي أعظم كرامة، ولكل نبأ مستقر، ولتعلمن نبأه بعد حين، وقل عسى أن يكون قريبًا، فلا تيأسوا من روح الله.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

يدمرون أنفسهم بأنفسهم
ثلاث من كنَّ فيه كنَّ عليه

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد :

فالسُّنن لا تعرف المحاباة ولا المجاملات ﴿**وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً**﴾ [الأحزاب: ٦٢]، ﴿**وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً**﴾ [فاطر: ٤٣]، والشرع لا يُفرق بين المتساويين ولا يساوي بين المختلفين، وهلكة الماكر والباغي والناكث مسألة وقت، فالزمن جزء من العلاج، ولا يصح أن تهتز الثوابت والمعايير.

قال محمد بن كعب القرظي: «ثلاث خصال من كُنَّ فيه كُنَّ عليه: المكر ﴿**وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ**﴾ [فاطر: ٤٣]، والبغي: ﴿**إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُم**﴾ [يونس: ٢٣]، والنكث: ﴿**فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ**﴾ [الفتح: ١٠].

فهذه الخصال من أسباب دمار أهلها، والعلاقة وثيقة بين

الأسباب والمسببات، والمقدمات ونتائجها ، أعمالكم عمالكم، قال تعالى: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا**﴾ [فصلت: ٤٦]، وقال: ﴿**إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا**﴾ [الإسراء: ٧].

وفي الحديث: «**واعمل ما شئت فإنك مجزي به**»، وصحَّ الخبر: «**يا عبادي إنما هي أعمالكم أُحصيها لكم ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك، فلا يلومن إلاَّ نفسه**» [رواه مسلم].

أتى رجل لأحد العلماء يقول له: إنَّ بني فلان قد تواطأوا عليَّ وصاروا يداً واحدة، فقال: يد الله فوق أيديهم، قال: إنَّ لهم مكرًا، قال: ولا يحيق المكر السيئ إلاَّ بأهله. قال: هم فئة كثيرة، فقال له العالم: كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله.

وأنت تشتهي الخلاص من الكافرين والفاجرين، ثق تمامًا إنَّ مكرهم وبغيهم ونكثهم سيدمرهم تدميراً، فهم في واقع الأمر وحقيقته يهلكون أنفسهم بأنفسهم قبل أن يصل إليهم سلاحك، وما يعود وبال هذه الخصال السيئة إلاَّ

عليهم أنفسهم دون غيرهم، قال تعالى: ﴿ **وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (٥٤)** ﴾ [آل عمران: ٥٤]، وقال: ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (١٢٣)** ﴾ [الأنعام: ١٢٣].

وقصَّ علينا القرآن صورة من مكر ثمود بنبيهم صالح، قال تعالى: ﴿ **وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٥٠) فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ(٥١)** ﴾ [النمل: ٥٠، ٥١]، قيل في تفسيرها: وهم لا يشعرون بالملائكة الذين أنزل الله على صالح ليحفظوه من قومه حين دخلوا عليه ليقتلوه، فرموا كل رجل منهم بحجر حتَّى قتلوهم جميعًا وسَلِمَ صالح من مكرهم، وقيل: إنهم مكروا بأن أظهروا سفرًا، وخرجوا فاستتروا في غار؛ ليعودوا في الليل، فيقتلوه، فألقى الله صخرة على باب الغار حتَّى سدَّه، وكان هذا مكر الله بهم.

وقد مكر المشركون برسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿ **وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (٣٠)** ﴾ [الأنفال: ٣٠]، لقد

أنجى الله نبيه ﷺ وخرج سالمًا من بين ظهرانيهم مهاجرًا إلى المدينة، وقتل صناديدهم يوم بدر، كأبي جهل وعتبة وشيبة ابنا ربيعة، وأدخل الله عليهم الإسلام يوم فتح مكة، ومات ﷺ يوم مات وهو سيد الأولين والآخرين رفع الله له ذكره وأعلى له أثره، وكذلك مكر المنافقون به، قال تعالى عنهم: ﴿ **وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ** ﴿١٠﴾ ﴾ [فاطر: ١٠].

لقد كان مآل مكرهم الفساد والبطلان، وظهر زيفهم لأولي البصائر والنُّهى، فإنه ما أسر أحد سريرة إلاَّ أبداها الله على صفحات وجهه، وفلتات لسانه، وما أسر أحد سريرة إلاَّ كساه الله ردائها، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر.

ومكر يهود برسول الله ﷺ ومحاولتهم قتله، وتآمرهم مع المشركين عليه.. كثير معلوم، فكان أن قتل بعضهم وأجلى آخرين، وظهر أمره ﷺ، وقُرب قيام الساعة يُستنطق الحجر والشجر لأمته ﷺ، فيقول الحجر والشجر: يا مسلم، يا عبد الله، هذا يهودي خلفي تعالَ فاقتله إلاَّ الغرقد؛ فإنه من شجر اليهود، ويفتح الله لهذه الأمة بيت المقدس.

فاحذر المكر ولا تنبهر بأهله، فعن قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنهما قال: لولا أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**المكر والخديعة في النار**» لكنت من أمكر الناس.

[صححه الألباني].

ولا يخفى عليك أنَّ المكر الذي وصف الله به نفسه على ما يليق بجلاله، ومعناه مجازاته للماكرين بأوليائه ورسله، فيقابل مكرهم السيئ بمكرهم الحسنى، فيكون المكر منهم أقبح شيء، ومنه أحسن شيء؛ لأنه عدل ومجازاة، وكذلك المخادعة منه جزاء على مخادعة رسله وأوليائه، فلا أحسن من تلك المخادعة والمكر، وإذا كان المكر السيئ وباله على صاحبه، فكذلك الأمر بالنسبة للبغي، وهو أسرع الجُرم عقوبة.

قالوا: من سل سيف البغي قُتل به، وعلى الباغي تدور الدوائر، والبغي يصرع أهله؛ فالبغي مصرعه وخيم، ومن حفر بئراً لأخيه سقط فيها، فاهجروا البغي فإنه منبوذ.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: لو بغى جبل على جبل لجعل الله - عزَّ وجل - الباغي منهما دكًا.

وقال أيضًا: تكلم ملك من الملوك كلمة بغي وهو

جالس على سريره فمسخه الله عز وجل، فما يُدرى أيُّ شيء مُسِخَ؟ أذُباب أم غيره؟ إلاَّ أنه ذهب فلم يُرَ.

وقال عبد الله بن معاوية الهاشميّ : « إنَّ عبد المطلب جمع بنيه عند وفاته، وهم يومئذ عشرة وأمرهم ونهاهم، وقال: إيّاكم والبغي؛ فوالله ما خلق الله عزَّ وجل شيئًا أعجل عقوبة من البغي، ولا رأيت أحداً بقى على البغي إلاَّ إخوتكم من بني عبد شمس».

قال ابن القيم : سبحان الله!، في النفس كبر إبليس، وحسد قابيل، وعتو عاد، وطغيان ثمود، وجرأة نمروذ، واستطالة فرعون، وبغي قارون، وقبح هامان، وهوى بلعام، وحيل أصحاب السبت، وتمرد الوليد، وجهل أبي جهل، وفيها من أخلاق البهائم: حرص الغراب، وشَرَه الكلب، ورعونة الطاووس، ودناءة الجُعل، وعقوق الضب، وحقد الجمل، ووثوب الفهد، وصولة الأسد، وفسق الفأرة، وخبث الحية، وعبث القرد، وجمع النملة، ومكر الثعلب، وخفة الفراش، ونوم الضبع، غير أنَّ الرياضة والمجاهدة تُذهب ذلك.

وقد وردت النصوص تذم البغي بغير الحق قال تعالى: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٢)﴾ [الشورى: ٤٢]، والبغي هو الاستطالة على الناس، وهو الكبر والظلم والفساد، والعمل بالمعاصي، وهو من الأمور الخمسة التي وردت الشرائع بالنهي عنها، وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣]، ويكفي من بُغيَ عليه وعد الله بنصرته، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ﴾ [الحج: ٦٠].

وفي الحديث: «**ما من ذنب أجدر أن يُعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يُدخر له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم**»

[رواه أبو داود والترمذي وقال: حسن صحيح].

وورد: «**ليس شيء أُطيع الله فيه أعجل ثوابًا من صلة الرحم، وليس شيء أعجل عِقابًا من البغي وقطيعة**

الرحم، واليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع (أي لا شيء فيها)» [رواه البيهقي وصححه الألباني].

وفي الحديث: «**وإن الله أوحى إليَّ أن تواضعوا حتَّى لا يفجر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد**» [رواه مسلم].

وانظروا في قصص البغاة قديمًا وحديثًا ستجدون تطابقًا بين صفحات الكون المنظور والكتاب المسطور، فهذا فرعون بغى في الأرض بغير الحق، وادَّعى الربوبية والألوهية، وقال: ﴿**أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ** ﴿٥١﴾﴾ [الزخرف: ٥١]، وحاول اللحاق بنبيّ الله موسى ومن آمن معه من بني إسرائيل وأتبعهم بجنوده بغيًا وعدوًا، فأطبق عليه البحر وأجراه سبحانه من فوقه جزاءًا وفاقًا، ورآه المصريون جثة منتنة بعد أن كانوا يعبدونه من دون الله ﴿**فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً**﴾ [يونس: ٩٢].

وكذلك حكى القرآن قصة بغي قارون، قال تعالى: ﴿**إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ**﴾ [القصص: ٧٦]، وكان من جملة ما نصحه به الناصحون، أن قالوا له: ﴿**وَلَا**

﴿ تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٧) ﴾ [القصص: ٧٧] فلم يرفع قارون بذلك رأسًا، فأهلكه سبحانه، وانتقل إليه غير مأسوف عليه ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ ﴾ [القصص: ٨١].

إنَّ بغي الأمم الهالكة على الأنبياء والمرسلين فيه عظة وعبرة لأولي الألباب، فقد أخذهم سبحانه أخذ عزيز مقتدر، وسارت الأيام والليالي بقوم نوح وعاد وثمود وقرونًا بين ذلك كثيرًا، فأسلمتهم إلى ربهم وقدمت بهم على أعمالهم ﴿ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا (٩٨) ﴾ [مريم: ٩٨].

تطاول العماليق قوم عاد وقالوا من أشد منّا قوة، فأرسل سبحانه عليهم ريحًا صرصرًا عاتية ﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ (٧) فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنْ بَاقِيَةٍ (٨) ﴾ [الحاقة: ٧، ٨].

وخرج صاحب يس يُعبّد قومه لله رب العالمين، فقتلوه وبغوا عليه كما صنعوا مع المرسلين، فهانوا على ربهم، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ مِن بَعْدِهِ مِن جُندٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا

﴿ كُنَّا مُنزِلِينَ (٢٨) إِن كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ (٢٩) يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ (٣٠) ﴾ [يس: ٢٨ – ٣٠] .

وما قيل في المكر والبغي من تعجيل العقوبة والوبال الذي يعود على صاحبه، يُقال مثله في النكث ونقض العهد والميثاق، يُحكى أن بلعام بن باعوراء، كان مجاب الدعوة، وكان قد أوتي اسم الله الأعظم، الذي إن سُئل به أعطى، وإن دُعيَ به أجاب، فلما قدم نبيّ الله موسى ومن آمن معه، ألحَّ قوم باعوراء عليه حتَّى يدعو على نبيّ الله موسى، ففعل، فتحول لسانه بالدعاء عليه وعلى قومه، وضُرب به مثل السوء، قال تعالى: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ﴾ [الأعراف: ١٧٥، ١٧٦]، وهذا مثل كل من لم يرفع رأساً بدين الله، وانسلخ من آياته سبحانه، ونقض العهد والميثاق المأخوذ عليه.

وفي عام الحديبية أجحفت قريش برسول الله ﷺ،

ومنعته هو وأصحابه ﷺ من دخول بيت الله الحرام، واشترط سهيل بن عمرو على النَّبيّ ﷺ أن يكتب باسمك اللهم، وأن يكتب اسمه واسم أبيه، بدلاً من كتابة محمد رسول الله ، وأن يرجع عامه هذا، وأن يرد إلى مكة كل من جاءه مسلمًا منها، في الوقت الذي لا يردون من جاءهم مرتداً من المسلمين... إلى غير ذلك من بنود التعسف.

وعلى الرغم من ذلك كان هذا الصلح فتحًا مبينًا للإسلام وأهله، ونزل بشأنه: ﴿ **إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا** ﴾ [الفتح] ، وسعت قريش جاهدة في نقض الصلح الذي أبرمته، ومن قبل كانت المجافاة لمقتضى العقل والفطرة والشريعة المنزلة.

ولما بعث النَّبيّ ﷺ برسالة إلى كسرى فمزّقها، قال النَّبيُّ ﷺ: «**مزَّق الله مُلكه**» [رواه البخاري] وقد كان .

وكان سبب إجلاء بني قينقاع استصراخ مسلمة، تكشف بدنها بسبب يهودي، فقتله مسلم، ثم تمالأ يهود على المسلم، فقتلوه، فثار الحيّان، ونقض يهود للعهود والمواثيق قديمًا وحديثًا معلوم، قال تعالى: ﴿ **وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا**

﴿ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ ﴾ [الإسراء : ٨] فما عادوا مرة للإفساد إلاَّ وعاد عليهم ربنا بالإهلاك .

إنَّ من نقض العهد يضر نفسه، حتَّى وإن كان مسلمًا كما أنه يجر على نفسه اللعن لقوله تعالى : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ ﴾ [المائدة : ١٣] .

ومن صفات المنافقين أنَّ أحدهم إذا عاهد غدر، ولذلك كان حال هؤلاء الأشقياء ومصيرهم إلى خلاف ما صار إليه المؤمنون في الدنيا والآخرة .

قال الحافظ ابن حجر : كان عاقبة نقض قريش العهد مع خزاعة حلفاء النَّبي ﷺ أن غزاهم المسلمون حتّى فتحوا مكة واضطروا إلى طلب الأمان، وصاروا بعد العزة والقوة في غاية الوهن، إلى أن دخلوا في الإسلام، وأكثرهم لذلك كاره .

وفي الحديث : «**يا معشر المهاجرين خمس خصال إذا ابتليتم بهنّ وأعوذ بالله أن تدركوهن ... ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلاَّ سلط الله عليهم عدوًا من غيرهم ، فأخذوا ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله إلاَّ جعل الله بأسهم بينهم**» [رواه ابن ماجه والحاكم، وصححه الألباني] .

فمن نكث العهد فإنما يجني على نفسه، وإياها يهلك، فنكثه عليه لا له، والبعض قد يضيق لنكث العهد مكرًا وبغيًا كما قال شداد: إذا رأيت الرجل يعمل بمعصية الله فاعلم أن لها عنده أخوات، وذلك أنَّ المعصية تدل على أختها.

والناظر في فعل الشيوعية العالمية، وما فُعل بها – على سبيل المثال لا الحصر – سيجد شاهداً ونذيراً لهؤلاء الأعداء الذين نقضوا العهد والميثاق مع الخالق والمخلوق، وبغوا في الأرض بغير الحق، ومكروا مكرًا كبازًا، ولا يسعنا إلاَّ أن نردد معهم قول ربنا: ﴿ **وَقُل لِّلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَـٰمِلُونَ (١٢١) وَانتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ (١٢٢) وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (١٢٣)** ﴾ [هود: ١٢١ – ١٢٣].

اللهم دبّر لنا فإنَّا لا نحسن التدبير، اللهم من أرادنا وأراد المسلمين بسوء فأشغله بنفسه، واجعل كيده في نحره، واجعل تدبيره تدميره يا سميع الدعاء.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الموالاة والمعاداة

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد :

فلم يسلم مفهوم الولاء والبراء - هذا الجانب العقائدي- من هجمات شرسة، وسهام كثيرة أطلقها أعداء الإسلام والمسلمين رجاء إماتة هذه الأمة والقضاء على دينها ﴿ **وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا** ﴾ [البقرة: ٢١٧] وقد استخدموا في سبيل ذلك كل الوسائل والأساليب، وأعتاها الغزو الفكري لهذه الأمة وركَّزوا على كل القطاعات والفئات، وقد ازدادت ضراوة هذه الحرب حدة ، وكما نجح إبليس لعنه الله في صرف العباد عن واجب الشكر، كذلك نجح أولياؤه في تغيير مفهوم الولاء والبراء عند غالبية المسلمين، والله غالب على أمره ومُتم نوره ولو كره الكافرون.

ونُشاهد هذه الأمة التي تنتسب لدين الله، وهي توالي الشرق تارة، وترتمي في أحضان الغرب تارة أخرى، وتقيم معاهدات الصداقة مع الروس، وجمعيات الصداقة مع الفرنسيين، ويخرج هذا يُنادي بوطنية، وذاك بقوميّة، وأصبحت رايات الفرعونية، والسلام العالمي، والتعايش السلمي، وزمالة الأديان، والشرعية الدولية، والنظام العالمي الواحد... رايات مرفوعة في بلدان المسلمين، وتقطَّعت الأواصر والصلات بين المسلمين بسبب الحدود المصطنعة، ولا تكاد الأمة تُحرك ساكنًا تجاه المذابح التي تعقد للمسلمين في البوسنة والصومال وفلسطين والهند وكشمير وروسيا وبورما والعراق.. وكأن الأمر لا يعنيها، وإن استطعنا شيئًا فعلى سبيل الشجب والاستنكار، وأصبح معيار التعامل والتآخي عند الكثيرين هو معيار الوطن والقبيلة والعشيرة واللطف والظُرف والانضمام للحزب حتَّى وإن كان شيوعيًا.

قال صاحب كتاب «أهمية الجهاد»: فإنَّ الكفار - قاتلهم الله - لم يقتصروا على راية واحدة يرفعونها

للمسلمين بدل إسلامهم، ولم يقتصروا على خطة واحدة، بل كثرت خططهم وشعاراتهم ورياتهم، وذلك من باب تكثير السهام على الفريسة، فإن أخطأها الأول أو العاشر لم يُخطئها العشرون أو الثلاثون.

والذي لا تروق له القومية تجذبه شباك الوطنية أو الإنسانية أو زمالة الأديان أو التعايش السلمي أو الإشتراكية وهكذا دواليك، ولا ينجو منها إلاَّ من اعتصم بالكتاب والسُّنَّة. والوطنية هي تقديس الوطن بحيث يصير الحب فيه والبغض لأجله، والقتال من أجله وإنفاق الأموال من أجله حتَّى يغطي على الدين، وحتَّى تحل الرابطة الوطنية محل الرابطة الدينية، فالوطنيون يحبون أبناء وطنهم، وإن كانوا على غير ملَّتهم أكثر من محبّتهم لمن كانوا على ملَّتهم إذا لم يكونوا في وطنهم، بل قد يصل الأمر بالوطنيين إلى اجتماعهم على محاربة المسلمين مع الكفار؛ لأن الكفار من أبناء وطنهم !! وإذا وصل الحال بالإنسان إلى هذه الدرجة فقد عُبد الوطن من دون الله.

والعصبية للوطن من جنس العصبية للقوم كلها من

دعاوى الجاهلية، والوطنية في العصر الحاضر التي نسمع الدعوة لها في ديار الإسلام، بضاعة مستوردة كغيرها من المستوردات، وما أكثرها، تكتلات كثيرة وروايات عديدة، ومذاهب أرضية ماديّة عفنة أصبحنا نوالي لأجلها، ونُعادي ونُقاتل لأجلها، ونُسالم لأجلها كما صنعنا أيام دعوة القومية العربية، وفي الحديث: «**من قاتل تحت راية عُمّية يغضب لعصبة أو يدعو إلى عصبة أو ينصر عصبة، فقُتل، فقتلته جاهلية**» [رواه مسلم] والعمّية هو الأمر الأعمى الذي لا يستبين وجهه، وقال النبي ﷺ: «**من قاتل لتكون كلمة الله أعلى فهو في سبيل الله**» [رواه مسلم] اهـ.

إن أوجب الواجبات على العباد معرفة التوحيد وما يُنافيه من الشرك، وكما قال صاحب رسالة «الولاء والبراء في الإسلام»: «فإنَّ بعد محبة الله ورسوله تجب محبّة أولياء الله ومعاداة أعدائه، فمن أصول العقيدة الإسلامية أنه يجب على كل مسلم يدين بهذه العقيدة أن يُوالي أهلها، ويُعادي أعداءها، فيحب أهل التوحيد والإخلاص ويواليهم، ويُبغض أهل الإشراك ويُعاديهم، وذلك من ملّة

إبراهيم والذين معه، الذين أمرنا بالاقتداء بهم، حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿ **قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ** ﴾ [الممتحنة: ٤].

وهو من دين محمد ﷺ قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾** ﴾ [المائدة: ٥١]، وهذه في تحريم موالاة أهل الكتاب خصوصًا.

وقال في تحريم موالاة الكفار عمومًا ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ** ﴾ [الممتحنة: ١].

بل لقد حرَّم الله على المؤمن موالاة الكفار، ولو كانوا من أقرب الناس إليه نسبًا، قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾** ﴾ [التوبة: ٢٣]

وقال تعالى: ﴿ لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ [المجادلة: ٢٢].

قال: وقد جهل كثير من الناس هذا الأصل العظيم، حتَّى لقد سمعت بعض المنتسبين إلى العلم والدعوة في إذاعة عربية يقول عن النصارى إنهم إخواننا، ويا لها من كلمة خطيرة، وكما أنَّ الله سبحانه حرَّم موالاة الكفار أعداء العقيدة الإسلامية، فقد أوجب سبحانه موالاة المؤمنين ومحبَّتهم، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥) وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ (٥٦) ﴾ [المائدة: ٥٥، ٥٦] وقال تعالى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠] في الدين والعقيدة وإن تباعدت أنسابهم وأوطانهم وأزمانهم، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ

﴿ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [الحشر: ١٠] فالمؤمنون من أول الخليقة إلى آخرها مهما تباعدت أوطانهم وامتدت أزمانهم إخوة متحابون يقتدي آخرهم بأولهم ويدعو بعضهم لبعض، ويستغفر بعضهم لبعض» اهـ.

وفي تفسير قوله سبحانه: ﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزخرف: ٦٧] قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ ﴾ يريد يوم القيامة، ﴿ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ أي أعداء، يُعادي بعضهم بعضًا، ويلعن بعضهم بعضًا ﴿ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ فإنَّهم أخلاَّء في الدنيا والآخرة، قال معناه ابن عباس ومجاهد وغيرهما.

وحكى النقَّاش: أنَّ هذه الآية نزلت في أُميَّة بن خلف الجُمَحي وعقبة بن مُعيط، كانا خليلين، وكان عقبة يُجالس النَّبي ﷺ، فقالت قريش: قد صبأ عقبة بن أبي معيط، فقال له أُمية: وجهي من وجهك حرام إن لقيت محمداً، ولم تتفل في وجهه، ففعل عقبة ذلك، فنذر النَّبيُّ ﷺ قتله، فقتله يوم بدر صبراً (حبس الإنسان للقتل) وقُتل أُمية في المعركة، وفيهما نزلت هذه الآية.

وذكر الثعلبي رضي الله عنه في هذه الآية قال: كان خليلان مؤمنان وخليلان كافران، فمات أحد المؤمنين، فقال: يا رب، إنَّ فلانًا كان يأمرني بطاعتك، وطاعة رسولك، وكان يأمرني بالخير وينهاني عن الشر، ويُخبرني أني مُلاقيك، يا رب، فلا تُضله بعدي، واهده كما هديتني، وأكرمه كما أكرمتني، فإذا مات خليله المؤمن جمع الله بينهما، فيقول الله تعالى: ليُثنِ كل واحد منكما على صاحبه. فيقول: يا رب، إنه كان يأمرني بطاعتك وطاعة رسولك، ويأمرني بالخير وينهاني عن الشر، ويُخبرني أني ملاقيك، فيقول الله تعالى: ونِعْم الصاحب كان.

قال: ويموت أحد الكافرين، فيقول: يا رب، إنَّ فلانًا كان ينهاني عن طاعتك وطاعة رسولك، ويأمرني بالشر، وينهاني عن الخير ويخبرني أني غير ملاقيك، فأسألك يا رب ألاَّ تَهْدِه بعدي ، وأن تُضله كما أضللتني، وأن تهينه كما أهنتني، فإذا مات خليله الكافر، قال الله تعالى لهما: ليُثْنِ كل واحدٍ منكما على صاحبه، فيقول: يا رب، إنه كان يأمرني بمعصيتك ومعصية رسولك، ويأمرني بالشرِّ

وينهاني عن الخير ويُخبرني أني غير ملاقيك، فأسألك أن تُضاعف عليه العذاب، فيقول الله تعالى: بئس الصاحب والأخ والخليل كنت، فيلعن كل واحد منهما صاحبه.

قلت – أي القرطبي – : والآية عامة في كل مؤمن ومتق وكافر ومُضل. اهـ.

وأنا أذكر لك بحول الله وقوّته أموراً عامة مُجملة ومختصرة تتعلق بمفهوم الولاء والبراء؛ حتَّى تستبين حجم الغربة ومدى الطغيان المادي المعاصر الذي طرأ على هذا الأصل حتَّى صار ليس لله فيه نصيب.

فمن مظاهر موالاة الكفار:

[١] **التَّشبه بهم في الملبس والكلام وغيرها** لقول النَّبي ﷺ: «**من تشبَّه بقوم فهو منهم**» [رواه أحمد وأبو داود].

[٢] **الإقامة في بلادهم وعدم الانتقال منها إلى بلاد المسلمين**، إذا كان يقدر على الهجرة فراراً بدينه؛ لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ**

تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (٩٧) إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً (٩٨) فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا (٩٩) وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (١٠٠) ﴾ [النساء: ٩٧ - ١٠٠] فلم يعذر الله في الإقامة في بلاد الكفار إلاَّ المستضعفين الذين لا يستطيعون الهجرة، وكذلك من كان في إقامته مصلحة دينية كالدعوة إلى الله ونشر الإسلام في بلادهم.

[٣] **السفر إلى بلادهم لغرض النزهة ومتعة النفس**، أما لو سافر لضرورة العلاج أو التجارة أو التعلم للتخصصات النافعة التي لا يمكن الحصول عليها إلاَّ بالسفر إليهم؛ فيجوز بقدر الحاجة، وإذا انتهت الحاجة، وجب الرجوع إلى بلاد المسلمين ولابدَّ أن يكون مُظهرًا لدينه، مُبتعدًا عن مواطن الشرِّ، وكذلك يشرع السفر إلى بلادهم إذا كان لأجل الدعوة إلى الله.

[٤] **إعانتهم ومناصرتهم على المسلمين ومدحهم**، والذب عنهم، وهذه ردة عن الإسلام.

[٥] **الاستعانة بهم والثقة بهم**، وتوليتهم المناصب التي فيها أسرار المسلمين، واتخاذهم بطانة ومستشارين؛ وذلك لقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ**﴾ [آل عمران: ١١٨] ومن ذلك قول النبي ﷺ للرجل الذي أراد أن يخرج معه في القتال: «**ارجع فلن أستعين بمشرك**» [رواه مسلم]، وكان ذلك يوم بدر، واعترض عمر على أبي موسى الأشعري لما ولّى كاتبًا نصرانيًا.

[٦] **التأريخ بتاريخهم**، وترك التاريخ الهجري الذي ارتبطت به الأحكام التكليفية، وهذا من جملة التَّشبه بهم، وفيه إحياء لشعائرهم، وإضاعة لأحكام المسلمين.

[٧] **مشاركتهم في أعيادهم** أو مساعدتهم في إقامتها أو تهنئتهم بمناسبتها أو حضور إقامتها؛ أعيادهم من أعظم شعائر دينهم الباطل وهم ودوا لو بذلوا الأموال في سبيل مشاركة المسلمين لهم في أعيادهم، وفي

تفسير قوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ [الفرقان: ٧٢] قال عمر وغيره: هي أعياد المشركين، ولأن السخطة تتنزل عليهم.

[٨] **مدحهم والإشادة بما هم عليه من المدنية والحضارة** والإعجاب بأخلاقهم ومهاراتهم، دون النظر إلى عقائدهم الباطلة ودينهم الفاسد، وهذا لا يمنعنا من أن نأخذ العلوم النافعة من كل من أفلح فيها، ولنعلم أنَّ ما هم عليه ليس بحضارة؛ لأن الحضارة هي التي تقوم على أساس إقامة العبودية لله في الأرض، والكفار يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون.

[٩] **التَّسمي بأسمائهم** وهجران الأسماء الإسلامية.

[١٠] **الاستغفار لهم والتَّرحم عليهم**، وذلك لقوله سبحانه: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣] وليكن معلوماً أنَّ هذه المظاهر بعضها أشد حرمة من بعض.

ومن مظاهر موالاة المؤمنين:

[١] الهجرة إلى بلاد المسلمين، وهجر بلاد الكفر.

[٢] مناصرة المسلمين ومعاونتهم بالنفس والمال واللسان فيما يحتاجون إليه في دينهم ودنياهم.

[٣] التألم لألمهم والسرور بسرورهم.

[٤] النصح لهم ومحبَّة الخير لهم، وعدم غشهم وخديعتهم.

[٥] احترامهم وتوقيرهم، وعدم تنقصهم وعيبهم .

[٦] أن يكون معهم في حال العسر واليسر والشدة والرخاء.

[٧] زيارتهم ومحبَّة الالتقاء بهم والاجتماع معهم.

[٨] احترام حقوقهم.

[٩] الرفق بضعفائهم .

[١٠] الدعاء لهم والاستغفار لهم.

ودلائل هذه المظاهر كثيرة في كتاب الله وسُنَّة نبيه ﷺ.

ثم من الناس من يُحب محبة خالصة لا معاداة فيها، وهم المؤمنون الخُلَّص من الأنبياء والصديقين والشهداء، ومنهم من يُحب من وجه، ويُبغض من وجه، وهم عصاة

المؤمنين، ومنهم من يُبغض ويُعادى بغضًا ومعاداة خالصين لا محبة ولا موالاة معها، وهم الكفار والمشركين والمنافقين والمرتدين والملحدين على اختلاف أجناسهم، فهؤلاء لا محبة ولا أخوة ولا صداقة ولا مودَّة ولا موالاة بيننا وبينهم. وإن جاز لنا عيادتهم في مرضهم ورحمتهم بالرحمة العامة: كإطعامهم من جوع وسقياهم من عطش ومداواتهم من مرض، إلاَّ لو كان حربيًا، ويجوز التزوج من الكتابية، وأكل ذبائح أهل الكتاب إذا ذبحوا ذبحًا شرعيًا، كما تجوز هديتهم والبيع والشراء معهم، ومجادلتهم بالتي هي أحسن، والعدل واجب حتى مع الكافر، وبهذا المعنى وذاك وردت نصوص الشريعة.

ولابد من الانتباه إلى أن الإنسان إذا تزوج من كتابية لا يجوز له أن يُحب ما هي عليه من دين باطل حتى وإن عاشرها بالمعروف، وكذلك الرجل يُصاحب والديه بالمعروف دون محبة ما هم عليه من شرك، وأما قوله تعالى: ﴿ **لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** ﴾

[الممتحنة : ٨] ففيها الأمر بالبر، والبرُّ شيء والمودّة شيء آخر؛ ولذلك فالرحم الكافرة توصل من المال ونحوه، مع بغضنا لما هي عليه من كفر وعدم مودتنا لها.

ولو نظرت نظرة سريعة لنفسك وللدنيا من حولك مع استصحابك لما ذكرناه في قضية مفهوم الولاء والبراء يهولك حجم الضياع، ومدى الهوَّة المادية التي انحدرنا فيها شراً وفساداً، مصداق قوله سبحانه: ﴿ **وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ** ﴾

[الأنفال : ٧٣].

قال الحافظ ابن كثير: «ومعنى قوله: ﴿ **إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ** ﴾ أي إن لم تجانبوا المشركين وتوالوا المؤمنين، وقعت فتنة في الناس وهو التباس الأمر، واختلاط المؤمنين بالكافرين، فيقع بين الناس فساد منتشر عريض طويل »اهـ.

وهذا ما حصل في هذا الزمان، والله المستعان .

دعوة الحق
لا تموت بموت رائدها

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد :

فقد تعهَّد الله سبحانه بحفظ دينه، فقال: ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر: ٩]، وهذا الحفظ تعدى الكتاب إلى السُّنَّة، ولذلك لما قيل لابن المبارك – رحمه الله –: ما بال هذه الأحاديث الموضوعة، قال: تعيش لها الجهابذة.

وقد حفظ ربنا جلَّ وعلا أيضًا من يقوم بهذا الدين كاملاً غير منقوص، فلا تخلو الأرض من قائم لله بحجة، ويبعث الله على رأس كل مئة عام من يُجدد لهذه الأمة شبابها، ويحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عن دين الله تحريف الغالين، وانتحال المُبطلين وتأويل الجاهلين،

وهذه الأمة شأنها كشأن المطر لا يدرى أوله خير أم آخره خير، ولا يزال الله يغرس فيها غرسًا يستعملهم في طاعته.

وقد ثبتت الأخبار عن الصادق المصدوق ﷺ «**أنه لا تزال طائفة من الأمة ظاهرة على الحق لا يضرهم من خالفهم أو خذلهم حتَّى يأتي أمر الله وهم على ذلك**»، وفي بعض الروايات: «**يُقاتلون على الحق ظاهرين**».

والجهاد ماض في الأمة لن يبطله جور جائر ولا عدل عادل، حتَّى يُقاتل آخر رجل من الأمة المسيح الدجال، ويُخطئ من يظن أنَّ الدعوة إلى الإسلام تموت بموت حاملها أو رائدها، فقد مات عبد الله الغلام - المذكور في قصة أصحاب الأخدود - ونطق الناس وقالوا: آمنا بالله رب الغلام، فكان قتله ومصرعه سببًا في ظهور الحق ودخول الناس في دين الله.

وقصَّة أصحاب الكهف، وصاحب يس، ومؤمن آل فرعون دالة على ذلك، فقد تواصلت دعوتهم مع دعوة الأنبياء والمرسلين، واستمر بهم الأمر رغم أنهم كانوا مغمورين، خلَّد القرآن ذكراهم، وكانوا عظة وعبرة لكل من

جاء بعدهم، بل كانوا دعوة حال حياتهم وبعد مماتهم.

ومن المعلوم أنَّ البشرية قد ابتدأت بنبيّ مُكَلّم وهو نبيّ الله آدم عليه السلام، ثم تتابع الرسل لتعبيد الخلق للحق جلَّ وعلا ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلا فِيهَا نَذِيرٌ (٢٤) ﴾ [فاطر: ٢٤] ، ﴿ رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ [النساء: ١٦٥] .

ويموت الرسل وينهض الأتباع بدعوتهم فيأتي صاحب يس من أقصى المدينة يسعى ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (٢٠) اتَّبِعُوا مَن لاَّ يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ (٢١) وَمَا لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٢) أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلا يُنقِذُونِ (٢٣) إِنِّي إِذًا لَّفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ (٢٤) إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ (٢٥) ﴾

[يس: ٢٠ – ٢٥].

أخذوه فقتلوه، فنصحهم ميتًا كما نصحهم حيًا ﴿ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (٢٦) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ (٢٧) ﴾ [يس: ٢٦، ٢٧].

ثم لما قتلوه هانوا على ربهم، فدمّرهم تدميراً ﴿ **وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِن جُندٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴿٢٩﴾** ﴾

[يس: ٢٨، ٢٩] .

وكان هلاكهم نصرة لصاحب يس، ﴿ **وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾** ﴾ [الروم: ٤٧] وبقيت كلماته هادية، تدل على طريق الله.

وكم من كلمة عاشت وبقيت حية بموت صاحبها في سبيلها، وربما كانت مغمورة ومهملة حال حياته، شأنها كشأنه، ثم وكأن الكلمات والمواقف تنفخ فيها الروح بعد الوفاة.

فإذا انتقلت إلى أصحاب الكهف وجدتهم آية حال حياتهم وبعد مماتهم، رغم أنهم فتية صغار السن، إلاّ أنهم كانوا هداة مهتدين ﴿ **وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ** ﴾

[المدثر: ٣١].

قصة تبعث حرارة الإيمان في النفوس، وتستحث الكبار

قبل الصغار على مواصلة الطريق، وبذل كل غالي ورخيص في سبيل هذا الدين.

ولما رأى شهداء أُحُد ما أعدَّه ربنا لمن قُتل في سبيله، قالوا: من يُبلّغ عنَّا قومنا أنَّا لقينا ربنا فرضي الله عنَّا ورضينا عنه، فكان هذا البلاغ المبين، الذي يتنهض الهمم:

﴿ **وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠)** ﴾ [آل عمران: ١٦٩، ١٧٠].

وأرواح الشهداء في حواصل طير خضر تسرح من الجنة حيث شاءت، وحياتهم البرزخية أتم وأكمل من حياتنا الدنيوية.

وللشهيد عند الله ستّ خصال، يُغفر له في أول دفعة من دمه، ويُجار من عذاب القبر، ويأمن الفزع الأكبر، ويُحلى حلية الإيمان، ويُزوّج من الحور العين، ويُشفّع في سبعين إنساناً من أقاربه.

وقد وُجد شهداء أُحُد على النحو الذي ماتوا عليه، وذلك بعد أكثر من عشرين سنة من وفاتهم، كما وُجد الغلام بعد مئات السنين - زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه - على النحو الذي مات عليه، يده على صدغه كلما أزاحوها انبثق الدم من جرحه، وهذا من فعل الله بأوليائه، ومن إكرامه لهم، فحياتهم آية، وموتهم آية.

وواهمٌ من يظن أنَّ دعوة الحق تموت بموت حامليها؛ إذ هي دعوة موصولة بالسماء، يمدها سبحانه بمدد من عنده، لا تموت بموت أحد، ولا تحيا بحياته.

ولو ماتت هذه الدعوة لماتت بموت النَّبيّ ﷺ؛ إذ من المعلوم أنه الذي بلّغ الرسالة وأدَّى الأمانة، ونصح الأمة، فتح الله به أعينًا عميًا، وآذانًا صمًا، وقلوبًا غلفًا، هداهم به من الضلالة، وبصرهم به من العمى، فلو كانت حياته ﷺ لازمة لاستمرارية هذه الدعوة لما قبضه الله إليه.

وكانت وفاته ﷺ صدمة وهزَّة عنيفة، ولكن سرعان ما حُسمت بكلمات أبي بكر الصديق رضي الله عنه على المنبر: «من

كان يعبد محمداً، فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله، فإن الله حيٌّ لا يموت» .

وتلا قوله تعالى: ﴿ **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ (١٤٤)** ﴾

[آل عمران: ١٤٤].

وردد قوله تعالى: ﴿ **إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ (٣٠)** ﴾ [الزمر: ٣٠] وكأنهم يسمعونها لأول مرة .

وما دُفن رسول الله ﷺ إلاَّ بعد أن تولى أبو بكر رضي الله عنه الخلافة من بعده، وأنفذ بعث أسامة رضي الله عنه، وقال قولته المشهورة لمن خالفه في ذلك – وكان قد ارتد من ارتد من العرب –: «والله لو جرت الكلاب بأرجل أمهات المؤمنين ما حللت لواءً عقده رسول الله ﷺ» وقال: «أينقص الإسلام وأنا حيّ» .

نعم رائد الدعوة وحاملها له قيمة في نفوس أتباعه، نفتديه ونحميه بما وسعنا من الأسباب، ونتخوف عليه من كل سوء وشر، كما فعل أبو بكر رضي الله عنه مع رسول الله ﷺ يوم الهجرة؛ إذ كان يسير أمام النَّبيّ ﷺ تارة وخلفه تارة

أخرى، يتحول عن يمينه ثم عن شماله، يدخل الغار ويسد شقوقها خشية أن يُصاب النَّبيُّ ﷺ بأذى، ولسان حاله ينطق كما نطق أبو طلحة رضي الله عنه يوم أُحُد: «يا رسول الله، نحري دون نحرك».

فإذا قُدر ومات صاحب الدعوة، فعلينا أن نسترجع، وأن تُقيم واجبَ العبودية ونُحسن المسير إلى الله، كما أحسن، ولا ننقطع، فما أجمل ما قاله أنس بن النضير رضي الله عنه يوم أُحُد: «علام الحياة بعده، قوموا فموتوا على مثل ما مات عليه».

ثم قال: «وآهٍ لريح الجنة، إني لأجد ريح الجنة من دون أُحُد» وكان أنس قد سمع بوفاة رسول الله ﷺ، فتبرأ إلى الله مما جاء به المشركون، واعتذر إليه سبحانه مما فعله أصحابه، وغيّرت كلمة أنس «قوموا فموتوا على مثل ما مات عليه رسول الله ﷺ» منهج حياة.

تولّى عمر الخلافة بعد أبي بكر رضي الله عنهما وكانت خلافة على منهاج النبوة كما أخبر الصادق المصدوق صلوات الله

وسلامه عليه، ثم ما لبث أن طُعن بيد المجوسية الأثيمة، وعلم ابنه عبد الله من أخته أم المؤمنين حفصة رضي الله عنهما أنَّ أباه عمر لن يستخلف، فبات مهمومًا، فلما أصبح دخل عليه، فسأله عمر عن أحوال الناس فأجابه، ثم قال له عبد الله: أرأيت لو كان عندك راعٍ له غنم فتركها وارتحل، أترى أنه قد ضيع، يقول ابن عمر رضي الله عنهما: فأطرق ساعة يُفكر، ثم رفع رأسه وقال: إن أنا استخلفت، فإنَّ أبا بكر قد استخلف، وإن أنا لم أستخلف فإن رسول الله ﷺ لم يستخلف، وإن الله يحفظ دينه.

فهذا الدين هو دين الله، والله غالب على أمره ومُتم نوره ولو كره الكافرون، وأسباب الحفظ وصوره كثيرة وعديدة، ولا تستبعد أن يُستدرج الكفرة لذلك، فإنَّ الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر، وبأقوام لا خلاق لهم، ومن تتبع كيف ساعد المشركون على نشر هذه الدعوة في بداية الأمر عندما وقفوا على مشارف الطرق، وقابلوا وفود الحجيج يُحذرون من رسول الله ﷺ ... فكان صدهم وتنفيرهم سببًا في دخول الناس في دين الله، وهذا من عجائب التدبير.

ومن تأمل كيف تربَّى نبيُّ الله موسى عليه السلام في قصر فرعون، وعلى سريره، وأكله من طعامه، ثم كانت هلكة فرعون على يد نبي الله موسى عليه السلام، لعلم أنَّه لا ينفع حذر من قدر، وأن كيد الكفار دائمًا يرتد إلى نحورهم، وأن تدبيرهم تدميرهم.

ولا تستبعد أن يكون قتل حامل الدعوة سببًا في إيقاظ الهمم، وتحمل الجميع للمسئولية، وغليان روح الإيمان في النفوس، الأمر الذي تستأصل به شأفة الكفرة الظلمة، فالدماء الطيبة لا تذهب هدرًا، وما علينا إلاّ أن نثق في وعد الله، وأن نعلم أنَّ النصر من عندنا، فالأمر إن لم يكن بنا فبغيرنا ﴿ **وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ** ﴾ [محمد : ٣٨] والمستقبل للإسلام بغلبته وظهوره على الأديان كلها، بإذن الله تعالى.

ستعود خلافة على منهاج النبوة بعد الملك العاض والجبرية، وسيتم فتح بيت المقدس، وستنتصر هذه الأمة على الروم، وسيُقاتل المسلمون اليهود، ويختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر والشجر: يا مسلم، يا

عبد الله، هذا يهودي خلفي تعالَ فاقتله، إلاَّ الغرقد فإنه من شجر اليهود، سيظهر المهدي يصلحه ربنا في ليلة، يملأ الأرض عدلاً بعد أن مُلئت ظلمًا وجورًا، وينزل المسيح عليه السلام من السماء حكمًا عدلاً مُقسطًا يكسر الصليب، ويقتل الخنزير ويضع الجزية، ويحكم بحكم الإسلام...

كل ذلك وغيره يحدث كما أخبر الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه، فلمَ اليأس ﴿ **إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ** (٨٧) ﴾ [يوسف: ٨٧].

إنَّ هذا الأمر سيبلغ منتهاه بعز عزيز أو بذل ذليل، عزًا يُعز الله به الإسلام، وذلاً يُذل به الكفر، فابذلوا وسعكم وأنيبوا إلى ربكم، واصبروا وصابروا ورابطوا، واتقوا الله لعلّكم تُفلحون فما عنده سبحانه من نصر وعز وتمكين وخير وبركة لا ننالُه إلاَّ بطاعتنا له ﴿ **وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ** (٤) **بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ** ﴾ [الروم: ٤، ٥].

اللهم مَكِّن لدينك في الأرض، وافتح له قلوب الناس.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الوصية بالأشهر العربية

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد:

فغربة الأشهر العربية عند المسلمين هي من مظاهر غربة الإسلام وسط أهله وبنيه، فقلما تجد من يحصيها ويعرفها، أو تعرّف على وظائف أيامها وأحكامها، وبينما تجد الجميع يعرف شهر مارس وإبريل تلمس الجهالة المطبقة بشهر ذي القعدة وشهر ذي الحجة.

ولا شك أنَّ الجهل بالأشهر العربية، وشيوع استخدام الأشهر التي تعتبرها العجم والروم والقبط، قد أوقع المسلمين في كثير من المخالفات الشرعية؛ حيث أطلّت البدع برأسها، وهجر الناس الكثير من الطاعات والقربات بسبب ذلك؛ لذا كان لابد من القيام لله بحقه، نصحًا وبيانًا ﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ (٣٢)﴾

[الحج: ٣٢]، وقد أُمر نبيّ الله موسى عليه السلام أن يُذكّر بني إسرائيل بأيام الله، وما ارتبط بها من أحكام وعظات وعبر، قال سبحانه: ﴿ **وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ** ﴾ [إبراهيم: ٥]، ولنا فيه أسوة حسنة وقدوة طيبة ﴿ **أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ** ﴾ [الأنعام: ٩٠].

والوصية بالأشهر العربية، هي من الوصية بتقوى الله تعالى التي أمر بها الأولين والآخرين ﴿ **وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ** ﴾ [النساء: ١٣١]، وهذه الأشهر هي على التوالي: «المحرم، صفر، ربيع الأول، ربيع الثاني، جمادى الأولى، جمادى الثانية، رجب، شعبان، رمضان، شوال، ذو القعدة، ذو الحجة».

قال تعالى: ﴿ **إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ** ﴾ [التوبة: ٣٦] قال القرطبي: «هذه الآية تدل على أنَّ الواجب تعليق الأحكام من العبادات وغيرها إنما يكون بالشهور والسنين التي تعرفها العرب، دون الشهور التي تعتبرها العجم والروم والقبط، وإن لم تزد على اثنى عشر شهراً؛ لأنها مختلفة الأعداد، منها ما

يزيد على ثلاثين، ومنها ما ينقص، وشهور العرب لا تزيد على ثلاثين، وإن كان منها ما ينقص، والذي ينقص ليس يتعين له شهر، وإنما تفاوتها في النقصان والتمام على حسب اختلاف سير القمر في البروج» اهـ.

والشهر العربي يثبت برؤية الهلال أو إكمال عدة الشهر السابق ثلاثين يومًا؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته، فإن غمَّ عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يومًا**» [رواه البخاري ومسلم].

وقد ثبت العمل بالهلال وترتب الأحكام عليه بقوله تعالى: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ**﴾ [البقرة: ١٨٩]، فأخبر سبحانه أنها مواقيت للناس، وهذا عامٌّ في جميع أمورهم، وخصّ الحج بالذكر تمييزًا له؛ ولأنَّ الحج تشهده الملائكة وغيرهم، ولأنه يكون في آخر شهور الحول، فيكون عَلَمًا على الحول، كما أنَّ الهلال عَلَم على الشهر.

أما الشمس فلم يعلق لنا بها حساب شهر ولا سنة، وإنما

علّق ذلك بالهلال، فالشهر هلالي بالاضطرار ويُسن عند رؤية الهلال أو العلم به أن نقول: «**الله أكبر، اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان، والسلامة والإسلام، والتوفيق لما تُحب وترضى، ربنا وربك الله**» [رواه الدارمي بسند صحيح].

واليوم أوله من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس، أما الليل فمن غروب الشمس إلى طلوع الفجر، ولم تكن الأمة تعمل في دخول الشهر وخروجه، وتحديد الليل والنهار، أو في معرفة وقت الفجر وغيره بالحسابات الفلكية، وقد وردت النصوص الشرعية بتحديد كل وقت على حده، ومن ذلك ما رواه مسلم «**لا يغرنكم من سحوركم أذان بلال ولا بياض الأفق المستطيل هكذا حتَّى يستطير هكذا**» ويستطير أي ينتشر ضوؤه ويعترض في الأفق بخلاف المستطيل الذي يظهر ثم يختفي.

وقد أوضح العلماء أنَّ العمل في رؤية هلال الصوم أو الحج أو العدة أو الإيلاء أو غير ذلك من الأحكام المعلقة بالهلال، لا يصح التعويل فيها على الحسابات، وهذا بالنص والإجماع، وعلى ذلك جرى العمل في قرون الخيرية الثلاثة،

وما ذهب إليه بعض المتأخرين من جواز العمل بالحساب إذا غمَّ الهلال وفي حق نفس الحاسب فقط، فهو قول شاذ مسبوق بالإجماع على خلافه، ولو صحَّ هذا القول – وهو غير صحيح – فيحمل على الإغمام ويختص بالحاسب، أي أنه لا يجوز تعميمه أو إطلاقه على عواهنه.

يقول ابن تيمية – رحمه الله – : «والمعتمد على الحساب في الهلال، كما أنّه ضال في الشريعة، مبتدع في الدين، فهو مخطئ في العقل وعلم الحساب ، فإنَّ العلماء بالهيئة يعرفون أنَّ الرؤية لا تنضبط بأمر حسابي.. ولهذا تنازع أهل الحساب في قوس الرؤية تنازعًا مضطربًا، وأئمتهم كبطليموس لم يتكلموا في ذلك بحرف؛ لأنَّ ذلك لا يقوم عليه دليل حسابي..» اهـ.

وقال الشيخ ابن باز – رحمه الله – : «... أما توحيد التقويم بالحساب فلا مانع أن يعتمد عليه في المسائل الإدارية ونحوها، وللإيضاح والنصيحة وبراءة الذمة رأيت نشر هذا البيان» وكان قد أوضح – رحمه الله – أنَّ إثبات الأهلة والأحكام الشرعية إنما يكون بالرؤية أو إكمال العدد.

ومن هنا تُدرك خطأ تعليق الأحكام الشرعية على الحساب وولادة القمر واختراع التلسكوب والقمر الصناعي، فإنَّ مدار الأمر على ثبوت الرؤية بالعين البصرية، وقد اتفق العلماء على أنَّ من رأى النَّبيَّ ﷺ في منامه، فقال له هذا اليوم هو أول يوم من رمضان، أنه لا يعمل بهذه الرؤية المنامية؛ إذْ مدار الأمر على ما ذكرنا، والواجب علينا أن ندور مع إسلامنا حيث دار، ولهذا ما زال العلماء يعدون من خرج عن ذلك إلى الأخذ بالحساب أو الكتاب، كالجداول وحساب التقويم والتعديل... قد أدخل في الإسلام ما ليس منه، فيُقابلون هذه الأقوال بالإنكار الذي يُقابل به أهل البدع، وحسبك أن تكتفي بما أغناك الله وبيّنه لك.

لقد تفنن الأعداء وأذنابهم في تنفير المسلمين من كل شيء له علاقة بالدين كاللغة العربية والأشهر العربية، واستخدموا في ذلك كل أساليب الغزو الفكري، حتَّى وصل بنا الحال إلى أن أصبحنا نُضاهي الغرب في كل شيء حتَّى في شهوره، وما ارتبط بها من بدع وانحرافات.

والثابت أنَّ الشرائع قبلنا إنما علقت الأحكام بالأهلة،

وإنما بدل من بدل من أتباعهم، كما يفعله اليهود في جعل بعض الأعياد بالسنة الشمسية، وكما تفعله النصارى في صومها وأعيادها.

وما جاءت به الشريعة هو أكمل الأمور وأحسنها وأبينها وأصحها وأبعدها من الاضطراب، فلا يجوز بعد ذلك أن نستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير، وإذا كان تبديل شهر عربي مكان آخر يُذم به فاعله كمن بدّل صفر مكان رجب، ورجب مكان صفر، فكيف بمن ترك العمل بالأشهر العربية جملة وتفصيلا، واستبدلها بالأشهر الميلادية أو الإفرنجية، قال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٣٧)** ﴾ [التوبة: ٣٧].

قال ابن كثير - رحمه الله -: «هذا مما ذمَّ الله به المشركين من تصرفهم في شرع الله بآرائهم الفاسدة، وتغييرهم أحكام الله بأهوائهم الباردة وتحليلهم ما حرَّم الله، وتحريمهم ما أحل الله..» اهـ.

والنسيء المذموم هو تأخيرهم شهر المحرم إلى صفر لحاجتهم إلى شن الغارات، وطلب الثأر على نحو ما ذكره ابن إسحاق ، أو هو تأخيرهم الحج عن وقته تحريًا منهم للسنة الشمسية.

وقد حجَّ النَّبيّ ﷺ حجة الوداع بعد أن استدار الزمان، ووقعت حجته ﷺ في ذي الحجة، فقال في خطبته المشهورة في الصحيحين وغيرهما: «**إنَّ الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، السنة اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم، ثلاثة متواليات: ذو القعدة، وذو الحجة، ومحرم ، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان**».

يقول ابن تيمية – رحمه الله – : « ومن عرف ما دخل على أهل الكتابين والصابئين والمجوس، وغيرهم في أعيادهم وعباداتهم وتواريخهم، وغير ذلك من أمورهم من الاضطراب والحرج، وغير ذلك من المفاسد، ازداد شكره على نعمة الإسلام مع اتفاقهم أنَّ الأنبياء لم يشرعوا شيئًا من ذلك، وإنما دخل عليهم ذلك من جهة المتفلسفة الصابئة الذين أدخلوا في ملتهم وشرعوا لهم من الدين ما لم يأذن

به الله، فلهذا ذكرنا ما ذكرنا حفظًا لهذا الدين عن إدخال المفسدين، فإنَّ هذا مما يخاف تغييره، فإنه قد كانت العرب في جاهليتها قد غيّرت ملة إبراهيم بالنسيء الذي ابتدعته..» اهـ.

وقد اعتبر العلماء أنَّ من جملة مظاهر موالاة الكافرين التأريخ بتاريخهم، خصوصًا التاريخ الذي يعبر عن طقوسهم وأعيادهم كالتاريخ الميلادي، والذي هو عبارة عن ذكرى مولد المسيح عليه السلام، والذي ابتدعوه من أنفسهم، وليس هو من دين المسيح، فاستعمال هذا التاريخ فيه مشاركة في إحياء شعائرهم وأعيادهم، وإقامة الملة الحنيفية تقتضي مخالفة المشركين وسائر أصناف الجحيم وعدم التشبه بهم؛ لقول النَّبيّ ﷺ: «**من تشبَّه بقوم فهو منهم**»، وتشابه الظواهر قد يجر إلى تشابه البواطن؛ ولذلك فالخطر عظيم في متابعتهم في أشهرهم الإفرنجية وترك الأشهر العربية.

وقد ابتدأ عمر رضي الله عنه التاريخ الهجري، وذلك باتفاق

الصحابة رضي الله عنهم بالعام الذي هاجر فيه رسول الله ﷺ، وبشهر الله المحرم، وقد فعلوا ذلك مع معرفتهم بتواريخ الفرس والروم، فخالفوها عن عمد.

وكل خير في اتباع من سلف

وكل شر في ابتداع من خلف

وما لم يكن يومئذ دينًا فليس باليوم دينًا، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلاَّ بما صلح به أولها، كما قال الإمام مالك – رحمه الله –.

وقد حذر العلماء من الرقي بالأعجمية وبالكلمات الشركية والغير مفهومة، فقد تنطوي على مخالفات شرعية، ونفس الأمر يُقال في الأشهر الإفرنجية، فشهر إبريل (نيسان) وهو الشهر الرابع من السنة الإفرنجية، كان يمثل مطلع الربيع وكان الرومان قد خصصوا اليوم الأول من هذا الشهر لاحتفالات «فينوز» وهي آلهة الحب والجمال وملكة المرح والضحك والسعادة عندهم، وأما الأقوام الساكسونية، فكانت تحتفل في هذا الشهر بعيد إلهتهم «إيستر»، وهي

إحدى آلهتهم القديمة وهو الاسم الذي يُطلق عليه الآن «عيد الفصح» عند النصارى في اللغة الإنجليزية، وقد اقترن بهذا الشهر ما يُسمى بكذبة إبريل!! .

وعامة الأشهر الميلادية لا تقل في فساد معناها عن شهر إبريل، فمن أراد اليوم أن يتكلم بشهر مارس وإبريل، فليس له أن يتناسى شهر رجب وذي القعدة، وعليه أن يحذر المعاني الفاسدة الموجودة في الأشهر الإفرنجية ويحذر منها الناس.

وقد سُئل الإمام أحمد، فقيل له: إنَّ للفرس أيامًا وشهوراً يسمونها بأسماء لا تعرف، فكره ذلك أشد الكراهة، ورويَ عن مجاهد أنه كان يكره أن يُقال: آذارماه.

وورد في الخبر: «**من يُحسن أن يتكلم بالعربية فلا يتكلم بالعجمية؛ فإنه يورث النفاق**» وكان عمر رضي الله عنه ينهى عن الرطانة مطلقاً، ومنع الشافعي من التكلم بغير العربية.

فالعمل بالأشهر العربية مسئوليتنا جميعًا، وعلى الدعاة

بصفة أخص أن يشيعوا مفاهيم الهدى في البلاد والعباد، «**ومن دلَّ على خير فله مثل أجر فاعله**» [رواه مسلم].

ولا يظن ظان أنَّ هذه الدعوة أشبه بالدعوة إلى القشور، فنحن لا نتبرم بإيضاح سُنَّة مهملة، حتَّى وإن كانت مستحبة، فضلاً عن أن تكون بهذا القدر الذي بيّناه، وفي الوقت ذاته ندرك أنَّ التهاون في المستحبات يجر إلى التهاون في الواجبات، وشأن من علت همّته أن يهتم بالواجب والمستحب في العلم والعمل والدعوة إلى الله، ولا نقبل تقسيم الدين إلى قشر ولباب ﴿ **ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ** (٣٢) ﴾، والقشرة لابد منها لحفظ الثمرة، إذْ التفاحة تفسد إذا نُزعت قشرتها.

فاحرص على اغتنام مواسم الفضل كالأشهر الحرم، وشهر شعبان ورمضان، ويوم عرفة وعاشوراء وأيام العيدين والتشريق.. وتقرَّب فيها إلى الله بكل طاعة يُحبها، واحذر من الابتداع كالاحتفال بالمولد النبوي والهجرة وذكرى الإسراء والمعراج..

وأحسن المسير إلى ربك، واعلم أنَّ السَّنَةَ شجرة والشهور فروعها، والأيام أغصانها، والساعة أوراقها، والأنفاس ثمرها، فمن كانت أنفاسه في طاعة ، فثمرة شجرته طيبة، ومن كانت في معصية فثمرته حنظل، وإنما يكون الجذاذ يوم المعاد، فعند ذلك يتبيّن حلو الثمار من مرها، كما ذكر ابن القيم – رحمه الله – .

والكل مسافر في هذه الدار إلى ربه، ومدة سفرك عمرك، والأيام والليالي مراحل، فالعاقل لا يزال مهتمًا بقطع المراحل فيما يقربه إلى الله ليجد ما قدم مُحضرًا، فكن أنت ذلك الرجل، وإن وفقت وسُددت فقل: ﴿ **وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ** ﴿٨٨﴾ ﴾ [هود : ٨٨] .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أليس منكم رجل رشيد ؟

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد :

فهذا المعنى يردده الإنسان بلسان حاله ومقاله، إذا تواطأ الناس على الانحراف عن منهج الله وكثر المخالفون لدين الله، وظهرت منهم علامات السفه والفجور في الأقوال والأفعال مع ادعاءات الرشاد والعقل والإدراك.

لقد كان فرعون سفيهًا عندما ادّعى الربوبية والألوهية وقال: ﴿ **أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ (٢٤)** ﴾ [النازعات: ٢٤] ﴿ **أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي** ﴾ [الزخرف: ٥١] وكان سفيهًا عندما شرع تقتيل الصبيان ويستحي البنات، ويُفسد في الأرض بغير الحق، وينسب الإفساد لنبيّ الله موسى عليه السلام ، وهو أحد أولي العزم من الرسل: ﴿ **إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الْفَسَادَ (٢٦)** ﴾ [غافر:

٢٦]، والآيات تدمغه ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾ [القصص: ٤].

كان سفيهًا، ولم يمنعه ذلك من أن يقول لقومه: ﴿ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [غافر: ٢٩]، يقول سبحانه عنه: ﴿ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ ﴾ [هود: ٩٧].

والأمور كل الأمور على ما عند ربك، تحكي كتب التفسير أنَّ الملائكة لما خرجت من عند إبراهيم، وكان بين إبراهيم وقرية لوط أربعة فراسخ، بصرت بنتا لوط – وهما تستقيان – بالملائكة، ورأتا هيئة حسنة، فقالتا ما شأنكم، ومن أين أقبلتم؟ قالوا: من موضع كذا، نريد هذه القرية. قالتا: فإنَّ أهلها أصحاب الفواحش، فقالوا: أبها من يُضيِّفنا؟. قالتا: نعم، هذا الشيخ، وأشارتا إلى لوط، لما رأى لوط هيئتهم خاف قومَه عليهم، قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ

﴿عَصِيبٌ (٧٧) وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ (٧٨)﴾

[هود: ٧٧، ٧٨].

لقد أسرع القوم بالمجيء، لما رأوا الملائكة وكانوا في هيئة بشرية حسنة، طالبين إتيانهم ومواقعة الفاحشة معهم، وهذا من غلبة الشقاء على نفوسهم، وما دروا أنَّ الملائكة إنما جاءت بالعذاب، لتقلب قريتهم على من فيها، وكان موعدهم الصبح، أليس الصبح بقريب، لقد راودوا نبيّ الله لوط عليه السلام عن ضيفه، فقام مدافعًا يقول لهم: ﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ أي مؤمن صالح على هدى واستقامة أو رجل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

لقد انتكست المعايير في حسّ القوم بأسرهم حتَّى قالوا: ﴿أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ (٥٦)﴾ [النمل: ٥٦] وكانت امرأة لوط مُعينة للقوم، ولذلك شملها الهلاك معهم.

لقد سفهت العقول، وضلّت الأفهام، وانتكست الفِطر، وهم على كثرتهم لم يُدركوا مصلحتهم في العاجل والآجل، بل دمّروا أنفسهم، إذْ لم يكن منهم رجل رشيد، ونفس الكلمة نقولها لأشباه المنافقين، الذين يوالون أعداء الإسلام والمسلمين، ويُسارعون فيهم، يقولون نخشى أن تُصيبنا دائرة، كان أحرى أن يوثقوا صلتهم بالله، وأن يكون خوفهم منه سبحانه، فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده، فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين.

أتطلب العزة ممن أذلهم الله؟!! فإن العزّة لله جميعًا ، قال عمر لأبي عبيدة رضي الله عنهما: «إنَّا كنَّا أذل قوم فأعزّنا الله بهذا الدين، فمهما نطلب العز من غيره أذلّنا الله» .

لقد خيّل أعداء الإسلام على ضعاف البصر والبصيرة أنَّ الإصلاح كامن في الأخذ بالنظام الديمقراطي وإطلاق الحريات، كالحرية الشخصية، بحيث يزني ويُزنى به بلا اعتراض، ويكفُر ويرتد على عقبه القهقري بلا رادع، وهذه هي حرية الرأي، وتتعرى المرأة وتفجر وتختلط بالرجال، وهذه هي حرية المرأة...

وصوروا هذا التحلل على أنه عنوان الرقي والتقدم، وأصبحت كلمة الديمقراطية والمطالبة بها على ألسنة المسلمين قبل غيرهم !!! ولكل هؤلاء يقال: أليس منكم رجل رشيد ؟! أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير؟!، إنَّ جنة الديمقراطية ما هي إلاَّ نار كجنة الدجال في آخر الزمان.

لقد أغنانا سبحانه وكفانا ، وقال: ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا** ﴾ [المائدة: ٣].

• إنَّ الديمقراطية دين عند أهلها، كما أنَّ الإسلام دين عند أهله، ﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ** ﴾ [آل عمران: ١٩]، ﴿ **وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٨٥)** ﴾ [آل عمران: ٨٥].

لقد كان الواجب علينا أن ندعوهم للدخول في دين الله، لا أن نأخذ من سمومهم ونتشرب أباطيلهم.

﴿ **أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ** ﴾ كلمة نوجهها لأصحاب

الوطنيات والقوميات والقبليات والشعوبيات، والأحزاب الليبرالية والشيوعية... ولكل من تناسى معاني الأخوة الإيمانية والوحدة الإسلامية، وانشغل عن هموم وجراح المسلمين هنا وهناك، وكأن استصراخهم لا يعنيه.

أين الرشاد عند من صار دينه وراءه ظهريًا، وكأنه يناديه من مكان بعيد يوم بدر وأُحُد ﴿ **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ(١٤٤)** ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

لقد صار كل واحد كيان قائم بذاته، جزيرة مستقلة، له فلسفته في الحياة يتشدق، وله شخصيته كما يعبر، شرائع ونظم ودساتير ومناهج تُخالف الكتاب والسُنَّة، وفرق ضلالة نارية، انقسمت إليها الأمة الواحدة، بل وانقسمت الفرقة الواحدة – كالخوارج – انقسامات ثنائية، كالمحكمة والصفرية والعجاردة والأزارقة والإباضية...

فكيف تقوم لنا قائمة مع هذا التشرذم والتفرق، وقد

أعمل فينا الأعداء سياسة فرق تسد، فينا حظ ونصيب من قوله تعالى: ﴿ **تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ** ﴿١٤﴾ ﴾ [الحشر: ١٤].

الرشاد يظهر عندما نكون يداً واحدة على عدو الله وعدونا، وهذا لا يتحقق إلاَّ بأن نكون على مثل ما كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته الكرام، فهذه هي الطائفة الظاهرة الناجية المنصورة.

أبي الإسلام لا أبا لي سواه
إذا افتخروا بقيس أو تميم

﴿ **أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ** ﴾ كلمة تقال عندما نرى الجحافل الجرارة، قد صرفت العبادة لغير الله وللمقبورين بزعم محبة الأولياء والصالحين، فهذا يتلمس المدد والبركة من فلان، وهذا يذبح ويستغيث ويدعو «سيدي فلان» !! إلى غير ذلك من الصور الشركية.

إنَّ التطور المادي العصري لا يدل على هداية أو على استقامة، فما زالت الأصنام تُعبد من دون الله، والبعض

يتبرك بالشجر والحجر، وطوائف تطوف حول قبر لينين، وآخرون يجثون على الرُكب أمام تمثال العذراء، ومن الناس من يزعم أنَّ الدماء الزرقاء تجري في عروقه، فيُجيز لنفسه أن يُشرع مع الله، ويُتابعه آخرون.

والعلمانية اللادينية صارت هي اللافتة المرفوعة هنا وهناك، وكل هؤلاء يصدق عليهم قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ۝٧﴾

[الروم: ٧].

إنَّ صرف العبادة والتشريع لغير الله، كفر وشرك بالله، ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ۝٣١﴾ [الحج: ٣١]، ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾

[النساء: ١١٦].

ونفس الكلمة تُقال لأصحاب النزعات العقلانية، وما أكثر مظاهر وصور هذه اللوثة، فالصغير قبل الكبير، والمرأة والرجل، الكل يزعم العقل والإدراك، وأنه لا مثيل لعقله،

فهذا يقول بالعقل، ثم يصادم به النقل، والثاني يقول: «ربنا عرفوه بالعقل» بينما هو لا يُعظّم لله حرمة!! ، والثالث أدّاه عقله الفاسد لأن يتحالف مع الشيطان في سبيل مصلحته، وبئس الحلف، وبئست المصلحة...

جامعات وكتب ومذاهب معتزلية عقلانية، إنَّ العقل متولٍ ولى الرسول ثم عزل نفسه، والعقل دابة توصلك لقصر السلطان، ولا تدخل بها عليه، ولا يُظن وجود تعارض بين عقل صريح ونص صحيح، والعاقل بحق هو الذي يستقيم على شرع الله، وقاعدة تقديم النقل على العقل، من أهم القواعد التي عمل بها سلفنا الصالح، وإلاَّ فالعقول متفاوتة .

﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾

[النساء: ٦٥].

وقال أيضًا : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ

﴿ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا (٣٦) ﴾ [الأحزاب: ٣٦]، فالتسليم لشرع الله والرد إنما يكون لحكمه سبحانه.

﴿ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴾ تُقال لكل من تعامل بالربا، سواء كان فرداً أو جماعة أو دولة، بزعم الخروج من الأزمات وعلاج الإقتصاد!! فالربا يدمر البلاد والعباد ﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ ﴾ [البقرة: ٢٧٦].

وفي الحديث: «**لعن الله آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه**».

والأوضاع الملعونة لا بركة فيها، بل تهدد سبحانه أهل الطائف، رغم صلاتهم وصيامهم، وقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ [البقرة: ٢٧٨، ٢٧٩]، حرب لا طاقة للعباد بها.

ونفس الأمر يُقال لمن يُنشد السعادة في كأس أو غانية، أو يتسلّى بأغنية ورقصة وفيلم وتمثيلية ومسرحية، أو يعالج حزنه بدخان ومخدرات، أو يعالج مشكلته بالإعراض عن

منهج الله، فهؤلاء كالمستجير من الرمضاء بالنار، أو كالعير بالرمضاء يقتلها الظما والماء فوق ظهورها محمول.

قال تعالى: ﴿ **فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَىٰ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤)** ﴾ [طه: ١٢٣، ١٢٤].

كيف تسعد النفوس بالتبرج والاختلاط والعرى والخلاعة، وكيف سمح أولياء الأمور بذلك؟!، «**كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيّته**»، ﴿ **قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ** ﴾ [التحريم: ٦].

ما ترك النَّبيُّ ﷺ فتنة أضر على الرجال من النساء، وقال: «**فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء، فإنَّ أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء**».

أين الرشاد عند من صار حربًا على الملتحين والمنتقبات، وعند من صارت الدنيا هي كل همه ومبلغ علمه، وعند من توهّم أنَّ بمقدوره تجفيف منابع التدين، أين الرشاد عند من نسي الموت وسكراته والقبر وضمّته، والصراط وحدَّته؟!

وعند من لم يتفكر في تطاير الصحف ونصب الميزان، ومن غرَّه طول الأمل، وانخدع بصحة وجاه وسلطان ؟! أين الرشاد عند دعاة التنوير والتثقيف من الملاحدة والزنادقة، وعند من اغتروا بقوّتهم فقالوا: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥]؟ ألم يقرأوا عن قيام الحضارات الماديّة وزوالها؟! ألم يُطالعوا كيف أهلك سبحانه قوم نوح وعاد وثمود وقرونًا بين ذلك كثيرًا، إنَّ اغترارًا بالله حمق.

أين الرشاد عند من يعقّ والديه، ويقطع رحمه؟! .. لكل هذه الأصناف يُقال: ﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ والبعض يأبى إلاَّ الاعوجاج رغم وضوح الطريق، وهذا من شؤم الحال، ﴿وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً﴾ [الأعراف: ١٤٦].

إنَّ الرشاد من الله ﴿وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾﴾ [الكهف: ١٧].

ويكمن في العمل بمنهج الله ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة: ١٨٦].

ويُستمطر بالدعوات الصالحات ﴿ رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا (١٠) ﴾ [الكهف: ١٠] ، ﴿ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا (٢٤) ﴾ [الكهف: ٢٤].

والأنبياء هم أكثر الخلق رشداً وهداية ، ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ (٥١) ﴾ [الأنبياء: ٥١] ، ﴿ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا (٦٦) ﴾ [الكهف: ٦٦].

إنَّ الرشاد الحقيقي في الإسلام، ﴿ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا (١٤) ﴾ [الجن: ١٤] ويجب العمل بمقتضاه بعيداً عن التزييف والتدليس وقلب الحقائق.

استقيموا يرحمكم الله واستجيبوا إذا قيل لكم يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

كيف تتم السعادة الحقيقية؟

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد :

فالسعادة هي مطلب الناس جميعاً ، المؤمن والكافر والبر والفاجر، وهي الهدف المنشود الذي تسعى البشرية لتحقيقه، حتى وإن أخطأته الكثرة، وضلت الطريق إليه فكانت حياتها تعاسة وشقاوة نتيجة هذا الطغيان المادي.

لقد رأى البعض أن السعادة تكمن في تكديس المال وجمع الثروات وبناء العقارات والقصور، وهذا وهمٌ عريض، وإلا فصاحب المال يتعب في جمعه وحفظه واستثماره ويصيبه القلق والخوف من فوات هذا المال وزواله، قال تعالى: ﴿ **فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ** ﴾ [التوبة: ٥٥].

قال بعض السلف : يعذبون بجمعها وتزهق أنفسهم بحبها وهم كافرون بمنع حق الله فيها .

وكان ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول : ما أصبح أحد في الدنيا إلا ضيف وماله عارية فالضيف مرتحل والعارية مؤداة.

وقد قص علينا ربنا جل وعلا قصة قارون فقال سبحانه عنه: ﴿ **فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ** ﴾ [القصص: ٧٩] وانبهر الناس فقالوا : ﴿ **يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ** ﴾ [القصص: ٧٩]، ولم يكن الأمر كذلك فقد كان كافراً بالله تعالى : ﴿ **فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾** ﴾ [القصص: ٨١].

فهل تحققت السعادة بالمال ؟! وهل تستغرب إذا أتى هو وأمثاله يوم القيامة وقال: ﴿ **مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾** ﴾ [الحاقة: ٢٨]؟!.

قال بعض العلماء : مصيبتان في مال العبد لم يسمع بهما الأولون والآخرون، يؤخذ منه كله ويُسأل عنه كله .

ووهم السعادة لم يقصر على المال، فقد توهمه فريق

آخر في كأس وغانية، وبحث فريق ثالث عن السعادة في الشهرة، حتى لو أتت على حساب دينه، فلا مانع عنده من أن يرقص أو يصبح خنثى أو يصنع من نفسه شيطاناً وحماراً ينهق وكلباً يعوي وينطق بكلمات الكفر رجاء أن يُطلق عليه اسم الممثل الكبير والفنان القدير، أو يكتب كفراً وينشر ضياعاً كحالة مؤلف «أولاد حارتنا» و«آيات شيطانية» لينال عليها جائزة نوبل أو أرفع وسام في إنجلترا!.

إن السعادة الحقيقية ليست في المال ولا في الشهرة ولا في الشهادات ولا في المناصب ولا ما أشبه ذلك من حطام الدنيا، وإلا فلو بحثت عن الإنسان المادي المعاصر فلن تجده إلا في حانة من الحانات، أو مرقص من المراقص، أو نزيل مستشفى من مستشفيات الأمراض العقلية والنفسية وسط حالات القلق والاكتئاب والاضطراب، وستجد دولاً كالسويد والنرويج والدنمارك وهي من أغنى الدول من حيث دخل الفرد إلا أنها أعلى الدول في نسب الانتحار.

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾.

[طه: ١٢٤].

لقد طلب الماديون السعادة في غير مظانها وتوهموها في دنيا، لا بقاء لها ولا وفاء، بل هي كما وصفها سبحانه: ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ ﴾ [الحديد: ٢٠].

وقال جل وعلا: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾ [محمد: ١٢]، وقال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ (٧) أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨) ﴾ [يونس: ٧، ٨]، وقال: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً (٧) ﴾ [الكهف: ٧].

وكان عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول: لولا أن تنقص من حسناتي لخالطتكم في لين عيشكم، ولكني سمعت الله عيَّر قوماً فقال: ﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا ﴾ [الأحقاف: ٢٠].

وقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « ما لي وللدنيا إنما مثلي ومثل الدنيا كراكب قال تحت شجرة ثم راح وتركها » [رواه الترمذي، وقال: حسن صحيح].

وأوصى ابن عمر رضي الله عنهما فقال: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل» [رواه البخاري].

وقال سبحانه: ﴿**مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ (١٥) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٦)**﴾ [هود: ١٥، ١٦].

وروى أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه وفرق شمله ولم يأته من الدنيا إلا ماقدَّر له**» [رواه الترمذي].

إن السعادة التي ينشدها المسلم لا تقتصر على الدنيا دون الآخرة، فهو يريد أن يسعد في دنياه وأخراه وأن يكون من الذين سُعدوا وفي الجنة خالدين فيها، ويسأل ربه سعادة لا شقاوة بعدها أبداً ولذلك هو يسلك طريق السعداء ويحذر سبيل الأشقياء ﴿**يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ (١٠٥)**﴾ [هود: ١٠٥].

ومن أعظم أسباب الشقاء والتعاسة، الكفر بالله جل وعلا يقول تعالى: ﴿**وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا**

حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، وكذلك العمل بالمعاصي والآثام والجرائم يقول سبحانه: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٣، ١٢٤]، وقال: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا (١١) إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا (١٢)﴾ [الشمس: ١١، ١٢] وهو الذي عقر الناقة مخالفاً بذلك أمر ربه.

ومن جملة الذنوب التي تحترق وتشقى بها النفوس الحسد والغيرة ولذلك حذر النبي ﷺ من هذه الآفات فقال: «**لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً**» [متفق عليه].

ويدخل في ذلك أيضاً الحقد والغل والغضب والظلم والخوف من غير الله عز وجل والتشاؤم وسوء الظن والكبر وتعلق القلب بغير الله كتعلق قلب العاشق بمعشوقته، ويدخل في ذلك أيضاً النظر المحرم وتعاطي المخدرات التي أدت إلى تفسخ الأفراد والأسر والمجتمعات، والتي هي أيضاً شر من الخمر، ومن موانع السعادة وأسباب الانحلال والتعاسة والشقاء.

وهذه الأسباب المذكورة هي من أسباب الشقاء في الدنيا والآخرة إن لم يتب صاحبها قبل مماته ، قال تعالى حاكياً عن أهل النار : ﴿ **قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾** ﴾ [المؤمنون : ١٠٦] وقال : ﴿ **فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾** ﴾ [الليل : ١٤ – ١٦]، وقال : ﴿ **وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ﴿١١﴾ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾** ﴾ [الأعلى : ١١ ، ١٢] وقال : ﴿ **وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾** ﴾ [مريم : ٢٣] .

وكان شداد بن أوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول : اعلموا أنكم لن تروا من الخير إلا أسبابه ، ولن تروا من الشر إلا أسبابه ، الخير بحذافيره في الجنة والشر بحذافيره في النار ، والدنيا عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر ، والآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك قاهر ، ولكل دار بنون ، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا .

وقالوا : ما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار ، وأنتم من الورود على يقين ، ومن النجاة منها « أي من النار » في شك فاعمل عمل رجل لا ينجيه إلا عمله وتوكل توكل رجل لا يصيبه إلا ما كُتب له .

وإذا كنت تنشد سعادة الدارين فعليك بالاستقامة على شرعه سبحانه واتباع صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً ، وهذا يتطلب منك الإيمان بالله والعمل الصالح يقول الله تعالى : ﴿ **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً** ﴾ [النحل : ٩٧] .

وقال : ﴿ **مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٩)** ﴾ [المائدة : ٦٩] .

وفي الحديث : « **عجباً لأمر المؤمن ، إن أمره كله له خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له** » [رواه مسلم] وكان النبي ﷺ إذا اشتد عليه أو حزبه أمر يقول : « **أقم الصلاة يا بلال أرحنا بها** » [رواه أحمد وأبو داود] وكان يقول « **وجُعلت قرة عيني في الصلاة** » [رواه أحمد والنسائي] .

والرضى بالقضاء والقدر سعادة وأي سعادة ، فإن الله بقسطه وعلمه جعل الرَّوْح والفرح في اليقين والرضي وجعل الهم والحزن في الشك والسخط قال تعالى : ﴿ **وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ**

﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٣٥)﴾ [فصلت: ٣٥] فإن وجد ما يحب قال الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وإن وجد ما يكره قال: الحمد لله على كل حال، وإذا كان الجهل مصيبة وما عصي الله بمعصية أعظم من الجهل بالدين، فلا بد من طلب العلم حتى يسهل علينا التفريق بين الإيمان والكفر، والسنة والبدعة والحق والباطل، والسعادة الحقيقية والسعادة الزائفة.

كيف كانت سعادة الأفاضل ؟:

إن الكافر يُشاك بشوكة فيملأ الدنيا عويلاً وصياحاً، أما المسلم فله شأن آخر فهذا خبيب بن عدي رضي الله عنه صلبوه وناوشوه بالرماح والسيوف فأنشد:

ولستُ أُبالي حين أُقتل مسلمًا
على أي جنب كان في الله مصرعي
ولست بمبد للعدو تخشعًا
ولا جزعًا إني إلى الله مرجعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ
يُبارك على أوصال شلو مُمزع

وهذا زيد بن الدَّثِنَة عندما قبض عليه المشركون وخرجوا به إلى التنعيم وسأله أبو سيفان : أما تحب يا زيد أنك في أهلك ومحمد هنا تُضرب رقبته؟ فقال زيد رضي الله عنه : «والله إني لا أحب أن يصاب محمد ﷺ بشوكة بين أهله وأنا في مكاني هذا» .

لقد كانت سعادة هؤلاء الأفاضل في القيام بطاعة ربهم حتى وإن كلفتهم أرواحهم ، وقدموا محبة نبيهم ﷺ على محبة المال والأهل والولد ، ولربما انشغل الواحد منهم لحظة وفاته بإرسال السلام لرسول الله ﷺ وبالصلاة لربه جل وعلا، وكانوا يقابلون الموت غير هيابين ، ويقولون: اليوم نلقى الأحبة محمداً وصحبه .

إن السعادة الحقيقية لا تتحقق بسماع الأغنية والموسيقي ، ولا بمشاهدة الرقصة والفيلم والتمثيلية والمسرحية أو بغير ذلك من مظاهر الفحش وصور الإعراض ﴿ **وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ** (٣٦) ﴾ [الزخرف : ٣٦]. وقال تعالى : ﴿ **فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ** ﴾ [الزمر : ٢٢] وقال

سبحانه: ﴿أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]، ولما اشتكى رجل للحسن قسوة قلبه. قال له: أَذِبْهُ بالذكر.

وقال رجل لأم الدرداء يوماً: أجد داء لا أجد له دواءً، أجد قسوة شديدة وأملاً بعيداً، فقالت: اطلع في القبور واشهد الموتي.

ومن أعظم أسباب السعادة، الإحسان إلى الناس، وقصر الأمل، وعدم التعلق بالدنيا، والاستعداد ليوم الرحيل، ونظر الإنسان إلى من هو دونه في أمور الدنيا، وإلى من هو فوقه في أمور الآخرة، ومصاحبة الأخيار والصالحين، ودفع السيئة بالحسنة، وأن تعلم أن أذى الناس خير لك، وأن الظلم والبغي بمثابة سهم يطلقه صاحبه ثم يعود أول ما يعود إلى نحره هو، وأن الله جل وعلا لا تضيع عنده مثاقيل الذر: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾

[المجادلة: ٦].

أهمية الدعاء لتحقيق السعادة :

ولا تنسَ الالتجاء إلى الله عز وجل وكثرة الدعاء والتضرع إليه سبحانه وقل: ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (٢٥) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (٢٦)﴾ [طه: ٢٥، ٢٦] وقل: «**اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل، والبخل والجبن، وضلع الدين وغلبة الرجال**» [رواه مسلم]، «**اللهم رحمتك أرجو ، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين وأصلح لي شأني كله لا إله إلا أنت**» [حديث صحيح]، «**اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلحِ لي آخرتيَ التي فيها معادي واجعل الحياة زيادة لي في كل خير واجعل الموت راحة لي من كل شر**» [رواه مسلم] .

ومن دعاء رسول الله ﷺ : «**اللهم إني أعوذ بك من جهدِ البلاء ودرْكِ الشقاء وسوء القضاء وشماته الأعداء**» [متفق عليه]، وكان يقول : «**اللهم إني عبدك ، وابن عبدك ، وابن أمتك ناصيتي بيدك ، ماضٍ فيَّ حُكمُكَ ،**

عدل فيَّ قضاؤك ، أسألك بكل اسم هو لك ، سميت به نفسك ، أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك ، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ، ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي» [رواه أحمد].

وأكثر من الاستغفار وقول لا حول ولا قوة إلا بالله ، واحرص على طاعة الله ﴿ **وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ** ﴾ [الطلاق : ٢ ، ٣] فما عند الله من خير وسعادة لا ينال إلا بطاعتنا له ، واعلم أن العبد إذا ألهم الدعاء فإن الإجابة معه : ﴿ **وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا** ﴾

[مريم : ٤].

فاللهم حبب إلينا الإيمان وزيّنه في قلوبنا، وكرّهْ إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

التحـزب

وبدعة تقسيم الناس إلى مؤيدين ومعارضين

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد :

يقول الله تعالى : ﴿ **إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ (٩٢)** ﴾ [الأنبياء: ٩٢].

ويقول سبحانه : ﴿ **قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٠٨)** ﴾ [الأنبياء: ١٠٨].

فالناس كلهم لآدم وآدم من تراب ، ولا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى .

ويقول سبحانه : ﴿ **إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ** ﴾ [الحجرات: ١٣] .

ومعلوم أن الحق واحد لا يتعدد وأن الباطل كثير لا

ينحصر فالواجب على الإنسان أن يعيش بالإسلام وللإسلام وأن يصدع بالحق ولا يخاف لومة لائم .

وإذا كانت سنة الله قد اقتضت دفعاً بين الحق وبين الباطل ﴿ **وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ** ﴾ [البقرة: ٢٥١].

فالواجب علينا أن نستن بسنة رسول الله ﷺ في إقدامنا وإحجامنا ، وفي حركاتنا وسكناتنا وفي أقوالنا وأفعالنا ، وعلينا أن نستبشر فالعاقبة للمتقين والنصر عقبى الصابرين الذين يأخذون بالأسباب الشرعية ويستفرغون وسعهم فيها ويفوضون الأمر كله لله، والفارق كبير بين المسلم والكافر ، فالمسلم يحب في الله ويبغض في الله، يعطي لله ويمنع لله، أما الكافر فإنه يحب لهواه ويبغض لهواه، فهواه هو مولاه الذي يقوده إلى حتفه وهلاكه .

وإذا كانت النظم الديمقراطية عادة تأخذ بنظام تعدد الأحزاب وكل حزب له برنامجه المعبر عنه ، وله أيضاً رايته ومن يمثله ، فهذه الأحزاب منها ما هو شيوعي ماركسي،

ومنها ما هو وطني، ومنها ما هو ليبرالي علماني ، وكثيراً ما نرى الصراع يحتدم ليس فقط بين الأحزاب الموجودة على الساحة بل بين أبناء الحزب الواحد لأسباب عديدة ، وتنتهي هذه الصراعات بحروب في أغلب الأحيان، في أخف أحوالها حروب كلامية وإعلامية وشأنه في ذلك كشأن اليهود والنصارى.

وفي ذلك يقول تعالى : ﴿ **وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ** ﴾ [البقرة: ١١٣] .

اختلاف مريب ولا يمكن أن يجتمع الناس اجتماعاً صحيحاً يرضي الله إلا إذا صبغوه بصبغة الإسلام يقول تعالى: ﴿ **كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ** ﴾ [البقرة: ٢١٣] .

وهؤلاء الأنبياء دينهم واحد ودعوتهم واحدة ﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ** ﴾ [آل عمران: ١٩].

ويقول تعالى: ﴿ **وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٨٥)** ﴾ [آل عمران: ٨٥].

ويقول سبحانه: ﴿ **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٦٤)** ﴾ [آل عمران: ٦٤].

وهذه الأحزاب بدعة منكرة، وهي أثر من آثار الاستعمار أحدثها المستعمرون ليفرقوا بين أبناء الأمة الواحدة وليجعلوا أبناء الوطن الواحد شيعاً وأحزاباً بعد ذلك، نعم وجدت الشورى وحدث نوع من الاستيضاح أو الإعتراض حتى على بعض الخلفاء في حالة مخالفة النصوص الشرعية كما اعترضت - فيما رُوي - المرأة على عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين أراد تحديد المهور، ولكن هل سمح بقيام أحزاب بمناهج تخالف دين الله وتكفر به بزعم حرية الرأي والتعبير، تنشر وتروج المبادئ التي تدين بها في وسط المسلمين ؟! هذا لم يحدث أبداً وقد رأينا الثمار المرة لهذه الأحزاب من تفريق للناس وتنابذ وتراشق بالتهم في

الجرائد والمجلات كما هو حاصل مشاهد ، فالانضمام إلى حزب من هذه الأحزاب هو في نفسه بدعة لا يقرها الشرع ، فكيف إذا انضم مع ذلك عدم تمسك رؤساء الحزب بالدين واتخاذهم الدين طريقاً لنيل أغراضهم ومطلوبهم ولا شك أن من يمشي في ركاب هؤلاء ويهتف بحياتهم ويضحي بنفسه وماله في سبيل حزبهم يصدق عليه أنه باع آخرته بدنيا غيره يقول النبي ﷺ : « **من قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبته أو يدعو إلى عصبته أو ينصر عصبته فقتل فقتلة جاهلية** » [رواه مسلم].

ارتفعت رايات كثيرة مارقة للتكتل تحتها بدل راية الإسلام، وأصبح كل حزب بما لديهم فرحون ، والدين لا يعرف مثل هذه الأحزاب وإنما يأمرنا إذا أحدق الخطر بنا أن نتعاضد ونتعاون ونقوم قومة رجل واحد للدفاع عن ديننا الذي لا حياة للأمم والأفراد بدونه وما سوى ذلك فهو مراد باطل ضرره أكثر من نفعه بل لا نفع فيه عند التحقيق .

والناظر إلى الدنيا من حولنا سيجد كتلاً شرقية وغربية وقوميات وشعوبيات ووطنيات ، ثم مناهج وفلسفات بين

أبناء الوطن الواحد ثم تجاه الحاكم ومنهجه ينقسمون إلى مؤيدين ومعارضين وهذه الحالة لابد وأن تشحذ همم المؤمنين الذين يستعينون بربهم ليجاهدوا بدين الله من كفر بالله يدعون الإنسانية كافة لتسلم وجهها لله رب العالمين ويقيمونها خلافة على منهاج النبوة تطبق دين الله وتسوس الدنيا به ﴿ **تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا** (١) ﴾ [الفرقان : ١].

﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ** (١٠٧) ﴾

[الأنبياء : ١٠٧].

وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **المسلمون تتكافأ دماءهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم** ».

أبي الإسلام لا أبا لي سواه
إذا افتخروا بقيس أو تميم

والحب يجب أن يكون في الله والبغض كذلك، يقول الرسول ﷺ : « **أوثق عرى الإيمان الحب في الله**

والبغض في الله» [رواه ابن أبي شيبة، وحسَّنه الألباني].

والحق مقبول من كل من جاء به كائناً من كان، والباطل مردود على صاحبه أيضاً كائناً من كان، وكل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون وليس منا معصوم ولا كامل.

ولابد من مراعاة أدب الخلاف، والخلاف الذي يصادم نصاً من كتاب أو سنة خلافٌ ساقط وغير معتبر، والميزان الذي توزن به الأقوال والأفعال ونميز به الغث والسمين هو ميزان الكتاب والسنَّة، والحاكم الذي يطبق شرع الله إذا أخطأ في مسألة أو جانب الحق في فعل لا يصح الخروج عليه ولا تأليب العامة وإحداث الفتنة حوله، ويقول النبي ﷺ: **«سيد الشهداء حمزة، ورجل قام إلى إمام فأمره ونهاه في ذات الله فقتله»** [حديث صحيح، صححه العلامة الألبانيُّ في «السلسلة الصحيحة»، رقم (٣٧٤) المجلد الخامس].

وكل إنسان يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ، فالواجب علينا جميعاً أن نرجع لمثل ما كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته الكرام و:

كل خير في اتباع من سلف

وكل شر في ابتداع من خلف

وما لم يكن يومئذ ديناً فليس باليوم ديناً ، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح بها أولها ، يسعنا ما وسعهم من الخلاف ، وتتوحد كلمتنا على منهج الله، وحينئذ سنأخذ بأسباب التطور الحقيقية من العلم النافع، والعمل الصالح ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ** ﴾ [الأنفال : ٦٠] .

وحينئذ أيضاً سنعرف بإذن الله من الذي نواليه ومن الذي نعاديه ، ومن الذي نؤيده ومن الذي نعارضه .

يقول ابن تيمية : « والمؤمن عليه أن يعادي في الله ويوالي في الله ، فإن كان هناك مؤمن فعليه أن يواليه وإن ظلمه، فإن الظلم لا يقطع الموالاة الإيمانية ، قال تعالى : ﴿ **وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ** ﴾ [الحجرات : ٩] .

فجعلهم إخوة مع وجود القتال والبغي ، وأمر بالإصلاح بينهم ، فليتدبر المؤمن الفارق بين هذين النوعين ، فما أكثر ما يلتبس أحدهما بالآخر وليعلم أن المؤمن تجب موالاته وإن ظلمك واعتدى عليك ، والكافر يجب معاداته وإن أعطاك وأحسن إليك ، فإن الله سبحانه وتعالى بعث الرسل وأنزل الكتب ليكون الدين كله لله ، فيكون الحب لأوليائه ، والبغض لأعدائه ، والإكرام لأوليائه ، والإهانة لأعدائه ، والثواب لأوليائه ، والعقاب لأعدائه » اهـ .

إنَّ الناس ينقسمون إلى مؤمنين وكافرين ومنافقين، وإلى حزبين، حزب الله، وحزب الشيطان، وهي هي التسمية الشرعية، التي وردت في الكتاب والسُّنَّة؛ فالناس مؤمن تقي، وفاجر شقيّ، وعلى كل عبد أن يختار لنفسه، في أي فريق يكون، وقد جاهد النَّبيُّ ﷺ الكفار بالسيف والسنان، والمنافقين بالحجَّة والبيان.

والتعصب والاجتماع على حق محمود، والمذموم هو التعصب على الباطل، وهذا يُقال لأهله دعوها فإنها منتنة، ولا تجوز النعرات الجاهلية كقول البعض: « أنا وأخي على

ابن عمي، وأنا وابن عمي على الغريب»، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢].

والتفرقة والتمييز ليس بمستغرب من الكفار، والعنصرية صفة إبليسية مقيتة وقديمة، استخدمها إبليس عندما قال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ [ص:٧٦] ومن تلبَّس بهذه الصفة فقد يؤدي به ذلك إلى الطّرد من رحمة الله.

والتميز والسبق الحق إنما هو سبق الفضل، والصفات التي تقرب من رضا الرحمن، أمَّا السخرية فهي من شر أنواع التمييز المذموم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ [الحجرات: ١١].

فالواجب علينا أن نحذر التحزّب على غير ذات الله، وأن نحذر العنصرية ومذاهب التعصب والتمييز التي تفرق ما أمر الله به أن يوصل، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

ولابد من السعي الحثيث لإقامة جامعة إسلامية، وأُخوّة

إيمانيـة، وأدب لا يصطدم بالكتـاب والسُّنّة ؛ فـالعـروبة لن تكون بديلاً عن الإسلام.

ولابد أن نعلم أنَّ كلمة التوحيد قبل توحيد الكلمة، وأن وحـدة الفكر تسبق وحـدة العـمل، لذلك فـلابد من الرجوع لمثل ما كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته الكرام، وأن ننبذ معتقدات الفرق النارية الضالة، وأن يعلم كلٌّ منَّا أنه فرد من مجموع ، ينتسب لخير أمة أخرجت للناس.

فـلا داعي للأنانيـة، وأن يكون الواحـد أشبـه بجـزيرة مـسـتـقلة، فـإنما يأكل الذئب من الغنم القـاصـيـة، وأنت بإخوانك كثير وبنفسك قليل وإن كنت عبقريًا.

اللهم ألّف بين قلوبنا ووحّد كلمتنا واجعل بأسنا على عدوك وعدونا .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

تقلب الزمان بأهله

﴿ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد :

فما ارتفع شيء من الأرض إلاَّ وضعه الله ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا (١٠٥) فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا (١٠٦) لا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلا أَمْتًا (١٠٧)** ﴾ [طه: ١٠٥ – ١٠٧]، ﴿ **كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ (٢٩)** ﴾ [الرحمن: ٢٩]، سبحانه يرفع أقوامًا، ويضع آخرين.

كانت ناقة رسول الله ﷺ العضباء لا تُسبق، فجاء أعرابي فسبقها، فشقَّ ذلك على الصحابة رضي الله عنهم، فقال ﷺ: «**إنَّ حقًا على الله أن لا يرفع شيئًا من هذه الدنيا إلاَّ وضعه**» [رواه البخاري (٦٠٢٠) في كتاب الرقاق من حديث أنس].

فالواجب علينا أن نتعرف على سُنن الله في خلقه، وأن نُحسن المسير إليه سبحانه، وأن لا نركن ونطمئن لشيء من الدنيا، فالنَّفس إلى موت، والمال إلى فوت ﴿ **كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (٢٧)** ﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧]. قال فرعون لقومه: ﴿ **أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي** ﴾ [الزخرف: ٥١] فأجراها سبحانه من فوق رأسه جزاءً وفاقًا، وما ربك بظلاَّم للعبيد.

أين قوم نوح وعاد وثمود، وقرونًا بين ذلك كثيرًا؟!!، سارت بهم الأيام والليالي سيرًا حثيثًا، فأسلمتهم إلى ربهم، وقدمت بهم على أعمالهم ﴿ **هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا (٩٨)** ﴾ [مريم: ٩٨]، قال سبحانه: ﴿ **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (٨)** ﴾ [الفجر: ٦ – ٨] كانوا عمالقة، وقالوا: ﴿ **مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً** ﴾ [فصلت: ١٥]، فأرسل عليهم ربنا ريحًا صرصرًا عاتية ﴿ **سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ**

﴿ ٧ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنْ بَاقِيَةٍ ٨ ﴾ [الحاقة: ٧، ٨]، زرعتهم الريح في الأرض على أم رؤوسهم زرع بصل كما يقولون.

قال تعالى: ﴿ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ٩ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ١٠ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ١١ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ١٤ ﴾ [الفجر: ٩ - ١٤].

فلا داعي للطغيان والكبر والغرور، لا داعي للتطاول والتألي على الله، فأنت من التراب، وإلى التراب تعود، أنت اليوم حي وغداً ميت، ولابد من الاتعاظ والاعتبار، فلو دامت لغيرك ما انتقلت إليك، والحذر كل الحذر من مخالفة أمره سبحانه، فالبحر مأمور والسماء مأمورة، والأرض مأمورة، قال تعالى: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ٤٠ ﴾ [العنكبوت: ٤٠]، وقال: ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ ٩٧ أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ٩٨ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ

﴿مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴿٩٩﴾﴾ [الأعراف: ٩٧ - ٩٩].

ودخل داود عليه السلام غاراً فوجد فيه رجلاً ميتًا، وعند رأسه لوح مكتوب فيه: «أنا فلان بن فلان الملك، عشتُ ألف عام، وبنيت ألف مدينة، وافتضضت ألف بكر، وهزمتُ ألف جيش، ثم صار أمري إلى أن بعثت زنبيلاً من الدراهم في رغيف، فلم يوجد، ثم بعثت زنبيلاً من الجواهر، فلم يوجد، فدققت الجواهر واستفيتها، فمتُّ مكاني، فمن أصبح وله رغيف، وهو يحسب أنَّ على وجه الأرض أغنى منه أماته الله كإماتتي».

والغنى الحقيقي هو غنى النفس، فعشْ طاعة الوقت، وسل الله أن يختم لك بإيمان، ذُكر أن عبد الرحمن بن زياد لما ولي خراسان حاز من الأموال ما قدر لنفسه أنه إن عاش مئة سنة يُنفق في كل يوم ألف درهم على نفسه أنه يكفيه، فرؤي بعد مدَّة، وقد احتاج إلى أن باع حلية مصحفه وأنفقها.

والصالحات هي أعظم ما أخرتَ لغدك ولتأمين مستقبلك، وقدموا لأنفسكم ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ

﴿مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ(٣٠)﴾

[آل عمران: ٣٠].

لما قتَلَ عامرُ بن إسماعيل مروانَ بن محمد (آخر ملوك بني أمية في الشام) ونزل في داره، وقعد على فرشه، دخلت عليه عبدة بنت مروان فقالت: «يا عامر إنَّ دهراً أنزل مروان عن فرشه وأقعدك عليه، لقد أبلغ في عظتك».

وقال مالك بن دينار: «مررتُ بقصر تضرب فيه الجواري بالدفوف، ثم مررت عليه بعد حين وهو خراب، وبه عجوز، فسألتها عما كنت رأيت وسمعت، فقالت: يا عبد الله، إنَّ الله يغير ولا يتغير، والموت غالب كل مخلوق، وقد والله دخل بها الحزن، وذهب بأهلها الزمان».

ولما هاجر الصحابة رضي الله عنهم من مكة إلى المدينة، نظر البعض إلى الديار التي كانت عامرة بأهلها، ثم صارت خراباً، فأنشد يقول:

وكل دار وإن طالت سلامتها يوماً ستُدركها النكباء والجوب

وقال عبد الملك بن عمير: رأيت الحسن رضي الله عنه بين يدي ابن زياد في قصر الكوفة، ثم رأيت رأس ابن زياد بين يدي المختار، ثم رأيت رأس المختار بين يدي مصعب، ثم رأيت رأس مصعب بين يدي عبد الملك.

قال سفيان: فقلت له: كم كان بين أول الرؤوس وآخرها؟ قال: اثنتا عشرة سنة.

إنَّ للظالم قاتلاً لا يموت، وربك هو الحكم العدل، والجزاء من جنس العمل، اعمل ما شئت كما تدين تُدان.

دخل مسلمة بن زيد بن وهب على عبد الملك بن مروان فقال: أي الزمان أدركته أفضل، وأي الملوك أكمل؟ فقال: أما الملوك فلم أرَ إلاَّ حامداً وذامًا، وأما الزمان فيرفع أقوامًا ويضع آخرين، وكلهم يذكر أنه يبلى جديدهم، ويفرق عديدهم، ويهرم صغيرهم، ويهلك كبيرهم. جرت العادة في تهذيب الذين تردوا في الرذائل حتَّى فسدت أخلاقهم، متى تركوا تعاطي الإحسان والأفضال، وتحري العدالة فلا يأتونها لا خلقًا ولا تخلقًا، ولا رياءً ولا سمعة ولا رغبة ولا رهبة، فصاروا في تعاطي الشر سواسية كأسنان

الحمار، وعدمت فيهم الفضيلة، فحينئذ إن بقى في نفوسهم أثر قبول الخير أنشأ الله فيهم من يهديهم باللسان والسيف، كبعثة النَّبيّ ﷺ في العرب لما بقى فيهم من أثر الخير، من تعظيم الشهر الحرام والبيت الحرام، والوفاء بالذمم، وإن قلَّ فيهم أثر قبول الخير سلط الله عليهم سيفًا جائرًا ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ ﴾ [الأنعام: ١٢٩].

إنَّ الله ينتصف من أوليائه بأوليائه، ومن أعدائه بأعدائه، ويُعاملهم بما عامل به بنو إسرائيل، حيث سلط عليهم بختنصر، وإن عدم منهم أثر القبول، بعث عليهم عذابًا يفنيهم إما طوفانًا أو صيحة أو نارًا مُحرقة، أو ريحًا فيها عذاب أليم، أو الجراد والقمل والضفادع والدم؛ ليطهر منهم البلاد، ويريح منهم العباد، كما صنع الله بعاد وثمود وقوم نوح وقوم لوط، وذلك كالأرض إذا استولى عليها الشوك فلابد من نسفها أو تسليط النار عليها حتَّى تعود بيضاء، ولا يزال الناس بخير ما تباينوا، فإذا تساووا هلكوا.

إنَّ تقلب الزمان بأهله من المعاني المشاهدة، وفي ذلك

عظة وعبرة لأولي الألباب، فالغني قد يصير فقيراً، والفقير يصير غنيًا، والقوي يصير ضعيفًا، والحاكم قد يصبح محكومًا عليه ﴿ **وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا** ﴿٢٠﴾ ﴾ [الفرقان: ٢٠]، وقال سبحانه بشأن ما حدث يوم أُحُد: ﴿ **إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴿١٤٠﴾** ﴾ [آل عمران: ١٤٠] فقد قُتل سبعون من المسلمين يوم أُحُد، وهو نفس العدد الذي قُتل من المشركين يوم بدر، ونزلت هذه الآيات تسلية للمسلمين في مصابهم وقرحهم، ولا سواء؛ فقتلانا في الجنة، وقتلاهم في النار، والله مولانا ولا مولى لهم.

ولله الحجة البالغة، والحكمة الباهرة حتَّى وإن خفيت على عقولنا القاصرة، قال تعالى: ﴿ **الم ﴿١﴾ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴿٣﴾** ﴾ [العنكبوت: ١- ٣].

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: وأيم الله، ما كان قوم قط

في خفض عيش فزال عنهم إلاَّ بذنوب اقترفوها؛ لأن الله تعالى ليس بظلام للعبيد، ولو أنَّ الناس حين ينزل بهم الفقر، ويزول عنهم الغنى فزعوا إلى ربهم بصدق نيّاتهم لردَّ عليهم كل شارد، وأصلح لهم كل فاسد.

يقولون الزمان به فساد وهم فسدوا وما فسد الزمان

وكفى بالقرآن واعظًا، قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ** ﴾ [الرعد: ١١].

وكان يقال: إذا أدبر الأمر أتى الشر من حيث يأتي الخير.

وقيل: بتقلب الدهر تعرف جواهر الرجال.

ويقال: زمام العافية بيد البلاء، ورأس السلامة تحت جناح العطب.

وقال بعضهم: نحن في زمن لا يزداد الخير فيه إلاَّ إدباراً، والشر إلاَّ إقبالاً، والشيطان في هلاك الناس إلاَّ طمعًا.

اضرب بطرفك حيث شئت، هل تنظر إلاَّ فقيراً يكابد فقراً، أو غنياً بدل نعمة الله كفراً، أو بخيلاً اتَّخذ بحق الله وفراً، أو متمرداً كان يصمه عن سماع المواعظ وقراً.

وقال آخر : نحن في زمان إذا ذكرنا الموتى حييت القلوب، وإذا ما ذكرنا الأحياء ماتت القلوب، ولا تقوم الساعة حتَّى يمر الرجل بقبر الرجل، فيقول: يا ليتني مكانه، كم من إنسان ركب البحر ثم ركبه البحر، وملايين البشر ساروا على وجه الأرض حيناً، ثم طوتهم الأرض في بطنها.

ويُقال : لا يقاوم عز الولاية بذُل العزل.

وقال يونس بن ميسرة : لا يأتي علينا زمان إلاَّ بكينا منه؛ ولا يتولى عنَّا زمان إلاَّ بكينا عليه، ولن يأتي على الناس زمان إلاَّ والذي بعده شر منه.

وحكى عن شيخ من همدان قال : بعثني أهلي في الجاهلية إلى ذي الكلاع الحميري بهدايا، فمكثت شهراً لا أصل إليه، ثم بعد ذلك أشرف إشرافة من كوَّة له، فخرَّ له من حول القصر سجداً، ثم رأيته بعد ذلك، وقد هاجر إلى حمص، واشترى بدرهم لحماً وسمطه خلف دابته.

فتعرَّف على السُّنن الكونيّة والسُّنن الشرعية، وكنْ على بصيرة من أمرك وأمر الناس، ولا داعي للاغترار؛ فإن اغترار بالله حمق، كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه وهو المبشر بالجنة

يقول: لو أنَّ إحدى قدماي في الجنة والأخرى خارجها، ما آمن مكر الله، ﴿ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ (٩٩) ﴾ [الأعراف: ٩٩].

ولا تفرح في بلوى أخيك فيعافيه الله ويبتليك، ولا داعي للشماتة؛ فقد تعوَّذ النَّبيُّ ﷺ من درك الشقاء، وسوء القضاء، وجهد البلاء، وشماتة الأعداء، ولتكن بما في يد الله أوثق منك بما في يد نفسك، وأن يكون حالك في المصيبة وحالك إذا لم تُصب بها سواء، وأن يكون مادحك وذامك في الحق سواء.

عُدْ على نفسك باللائمة، ولا تسب الدهر، واعلم أنَّ الله غير مطعون في قضائه، فهو سبحانه بقسطه وعلمه جعل الروح والفرح في اليقين والرضى، وجعل الهمَّ والحزن في الشَّكِّ والسَّخط؛ فاعمل عمل رجل لا يُنجيه إلاَّ عمله، وتوكل توكل رجل لا يُصيبه إلاَّ ما كُتب له، وقلْ: ﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ (٨٤) ﴾ [طه: ٨٤].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

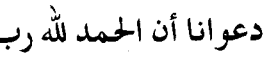

ماذا نفعل
إذا داهم العدو ديارنا ؟!

بسم الله، والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه .

أما بعد :

فنحن نعيش في وقت كثر فيه الكذب، وضاعت فيه الأمانة، ونطق الرويبضة، وهو السفيه يتكلم في أمر العامة، وخوّن الأمين، وأوتمن الخائن، وصار الحب والبغض لأجل الدنيا، والولاء والبراء ليس لله فيه نصيب، وسميت الأشياء بغير اسمها، وقت غربة وجهالة صار فيه المعروف منكراً والمنكر معروفًا، وقت انتكست فيه المفاهيم وانعكست فيه المعايير، وقد جلست مع نفسي متأملاً كما جلس عمر بن عبد العزيز مع نفسه ثم نطق وقال : قبور خرقت الأكفان ومزقت الأبدان، مصت الدم وأكلت اللحم، تُرى ما صنعت بهم الديدان، محت الوجوه، وكسرت الفقار، وأبانت

الأشلاء، ومزقت الأعضاء، ترى أليس الليل والنهار عليهم سواء، أليس هم في مدلهمة ظلماء، كم من ناعم وناعمة قد أصبحت وجوههم بالية وأجسادهم عن أعناقهم نائية، قد سالت الحُدق على الوجنات، وامتلأت الأفواه دمًا وصديدًا، ثم لم يلبثوا والله إلا يسيرًا حتى عادت العظام رميمًا، ثم قال: ليت شعري كيف ستصبر على خشونة الثرى، وبأي خديك سيبدأ البلى، وقال: يا ساكن القبر غدًا ما الذي غرَّك من الدنيا، أين دارك الفيحاء، بل أين رقاق ثيابك ؟ .

جلست أتفكر في حالنا إذا داهم الكفرة الفجرة ديارنا لا تمنيًا للبلاء فكلنا يسأل ربه العافية واليقين، ولكن أحاول التشبه بأنس بن النضر رضي الله عنه عندما غاب عن غزوة بدر، فقال: لأن أشهدني الله غزوة أخرى ليرين ما أصنع، فلما كانت غزوة أُحد سمع بمقتل رسول الله ﷺ - هكذا صاح فيهم الشيطان - ورأى أنس انكشاف أصحابه في مواجهة المشركين، فتبرأ إلى الله مما صنعه الكفار واعتذر إليه سبحانه مما جاء به إخوانه .

وقال قولته المشهورة : إن كان محمد قد مات فعلام الحياة بعده، قوموا فموتوا على مثل ما مات عليه، ثم قال : وآهٍ لريح الجنَّة إني لأجد ريح الجنة من دون أُحد، فقاتل حتى قُتلَ وما عرفته إلا أخته بطرف بنانه وفيه وفي أمثاله نزل قوله تعالى : ﴿ **مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً** (٢٣) ﴾ [الأحزاب : ٢٣] .

إن الأعداء يتربصون بنا الدوائر ويحاولون افتراسنا الدولة تلو الأخرى، ولسان الحال ينطق أُكلتُ يوم أُكِلَ الثور الأبيض، ومن اطمئن إليهم ووثق فيهم باء بخسران مبين فلا عهد لهم ولا ميثاق، قال تعالى : ﴿ **وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ** ﴾ [هود : ١١٣]، وقال : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** (٥١) ﴾ [المائدة : ٥١]، وقال : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ** ﴾ [آل عمران : ١١٨] .

كيف نأمنهم وقد خونهم الله، وكيف نعزهم وقد أذلهم الله، وكيف نكرمهم وقد أهانهم الله ؟!، ﴿ **هَا أَنتُمْ أُوْلاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ** ﴾ [آل عمران : ١١٩]، ﴿ **وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ** ﴾ [فاطر : ١٤].

إنهم يحاولون طمس هويتنا ويحاربون عقيدتنا ويسعون جاهدين لنشر الحرية الإباحية والديمقراطية اللواطية ﴿ **وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا** ﴾ [البقرة: ٢١٧]، ﴿ **يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ** ﴾ [الأنفال: ٣٦]، وهذا قول العليم بخلقه بعيداً عن التزييف والتدليس والغش والخداع وشعارات الحرية والرخاء والأمن والاستقرار.

وهم في سبيل نشر كفرهم وضلالهم لا تأخذهم شفقة ولا رحمة بالنساء والأطفال، وكما شاهدناهم هنا وهناك يقتلون شيوخاً رُكع وبهائم رُتع وأطفالاً رُضع ﴿ **لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلا ذِمَّةً** ﴾ [التوبة : ١٠]، ولا يراعون حرمة بيوت الله وشأنهم في ذلك قديماً كشأنهم حديثاً يغيرون الشعارات التي يرددونها والثياب التي يلبسونها كشأن الحية

التي تغير جلدها والحرباء التي تغير لونها ﴿ **وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ** ﴾ [البقرة : ١٢٠] .

أخذت أتفكر وأتأمل ماذا أصنع إذا داهم الكفار بلدي الذي أحبه وأرجو خيره وأمنه واستقراره، هل سأتركهم يدمرون البلاد والعباد لأجل تطبيق الديمقراطية وتحقيق الرخاء والأمن والاستقرار ؟!.

إن الشرع والواقع يكذب دعاوى هؤلاء الكفرة الفجرة، بل ويكذب أيضًا دعاوى الوطنيين والقوميين والاشتراكيين والبعثيين، في محبتهم البلاد والعباد، فالمحبة الحقيقية تكمن في الدلالة على طريق الإيمان ومتابعة منهج الأنبياء والمرسلين، وانتشال الخلق من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام .

فالنظم الوضعية والفلسفات الكفرية والأديان المحرمة والمغيَّرَة والمبدَّلة لا تحمل في طياتها خيراً ولا رخاءً ولا أمنًا ولا استقراراً، بل هي الدمار للحاضر والمستقبل والهلكة للبلاد والعباد، قال الله تعالى : ﴿ **وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً**

﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً﴾ [الإسراء : ١٦]، وقال تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ (١٠٢)﴾ [هود : ١٠٢]، وقال تعالى : ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ (٣١)﴾ [الحج : ٣١].

أنعصي جبار السموات والأرض ونرجو رحمته وننشد الأمن مع كفرنا ونحن في قبضته ؟! ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتاً وَهُمْ نَائِمُونَ (٩٧) أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٩٨) أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ (٩٩)﴾ [الأعراف : ٩٧-٩٩].

إذا الإيمان ضاع فلا أمان، ولا دنيا لمن لم يحيي دينه، فالأمان لا يتحقق إلا بالإيمان، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ (٨٢)﴾ [الأنعام ٨٢] .

فالمؤمن هو الذي يحب بلده وأهله محبة حقيقية مجردة من الأطماع والأهواء، والمنهج الإيماني هو الذي

يتحقق به الأمن والأمان في حياتنا الدنيوية والبرزخية والأخروية لكافة الخلق أتم تحقيق وشواهد ذلك كثيرة في حياة الأنبياء وأتباعهم فهذا صاحب يس يترك عمله وراحته وأهله ويأتي من أقصى المدينة يسعى لدلالة القوم على طريق السعادة والنجاة ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (٢٠) اتَّبِعُوا مَن لاَّ يَسْأَلُكُمْ أَجْراً وَهُم مُّهْتَدُونَ (٢١) وَمَا لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٢) أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلا يُنقِذُونِ (٢٣) إِنِّي إِذاً لَّفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ (٢٤) إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ (٢٥) ﴾ [يس: ٢٠-٢٥].

فأخذوه وقتلوه فنصحهم ميتًا كما نصحهم حيًا : ﴿ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (٢٦) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ (٢٧) ﴾ [يس : ٢٠-٢٦].

ثم لما قتلوه هانوا على ربهم، فكانت هلكتهم ولو آمنوا لكان خيراً لهم، قال تعالى ﴿ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ مِن بَعْدِهِ مِن جُندٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ (٢٨) إِن كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ (٢٩) يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ

﴿ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [يس : ٢٨-٣٠] .

أخذتُ أتأمل الصور والأشكال التي تحدث إذا داهم الكفرة بلدي، ولابد من تسمية الأشياء باسمها، وتقريبًا للمعاني في وقت تقلص فيه الشعور وضاع الإحساس بمصاب المسلمين هنا وهناك، ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم، والمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا، «**ومثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**» .

هل نحن صادقين في شعورنا بشعور الجسد الواحد تجاه قضية فلسطين والعراق ؟، قلت لنفسي لو داهم العدو بلدي وقتل الشيوخ والنساء والأطفال - والموت أقرب من أحدنا من شراك نعله - هل كنا سننشغل بتسريحة الشعر ومتابعة الموضة، ومشاهدة المباراة والدخول في حوارات حادة وعنيفة على الأفلام والأغاني وأيهما أفضل القديمة منها أم الحديثة . . . . وهل يصلح العلماني اللاديني والمرابي والراقصة . . . لمواجهة الكفرة الفجرة الذين أتوا بخيلهم

وخيلائهم يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً.

لن نعدم من يقول بلسان حاله ومقاله : « أنا ومن بعدي الطوفان »، ويدخل بيته طلباً لسلامةٍ مزعومة حتى يذبحونه فيه أو يقذفونه بأسلحة الدمار التي لا تبقي ولا تذر، ويا حسرتًا على من تلظى بنيران القومية والبعثية والاشتراكية.. تارة، ثم بنيران الكفر والديمقراطية اللواطية تارة أخرى، ينتقلون من دمار إلى دمار ويتقلبون بين رحى المهلكات من هنا وهناك.

إن القاعد عن دفع الكفار عن عقر داره إما أن يكون مكذبًا أو مخبولاً، وتخيلوا لو أحاطت بنا النيران من كل ناحية، فشأن العقلاء أن يخمدوا النيران أو يسارعوا بالهرب منها طلبًا للسلامة والنجاة، فلو قعدوا مكانهم ولم يحركوا ساكنًا، فهؤلاء إما أن يكونوا مكذبين بوجود النيران وإما أن يكونوا مخبولين.

هذه المسألة التي نتكلم عنها لا تتحمل الفذلكة ولا الفلسفة ولا تحتمل الإجهاد العقلي أو تتطلب عقولاً كبيرة لفهمها بل هي قضية تفهمها الحيوانات، فالأسد يدافع عن

عرينه، والقط يستخدم مخالبه للدفاع عن نفسه والحمام يحوم حول عشه ويحمي وكره، ولكن يبدو أن البشر عندما ينسلخون عن شرع ربهم يفتقدون أبسط معاني الإدراك ويضيعون أنفسهم فلا عقل ولا شرع حتى وإن زعموا العقلانية، ولربما سعى البعض من جلدتنا وممن يتكلم بلساننا في إعانة الكفار وصار بذلك حربًا على الإسلام وأهله وأداة لقتل النساء والذرية، أشبه بمخلب القط والنعل الذي يدخلون به الحمامات يبيعون دينهم بعرض من الدنيا ويؤثرون الفاني على الباقي، وما ذئبان جائعان أُرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف (الرياسة) لدينه، وهذا الضعف هو إلى النفاق أقرب، قال تعالى : ﴿ **فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ (٥٢)** ﴾ [المائدة : ٥٢]. وقال تعالى : ﴿ **أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا** ﴾ [النساء: ١٣٩].

صور وأشكال أستعرضها وأنا أتأمل وأفكر إذا داهم

العدو بلدنا، ولست ممن يرجم بالغيب، فالواقع أغرب من الخيال ومن طالع السُنن والسير علم أصناف البشر، فخذوا حذركم وقدموا لأنفسكم، وعودوا لدينكم عوداً حميداً، ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ** ﴾ [الأنفال : ٦٠]، تخلينا عن أسباب قوتنا الحقيقية فصال الكفرة وجال الفجرة خلال ديارنا، وبتنا ننتظر الدور متى نُذبح!!.

ومن المضحكات المبكيات :

أن يُرمى من دفع الكفار عن عقر داره بالإرهاب، وكأن المطلوب أن نقدم رقاب البلاد والعباد والنساء والذرية للمقصلة ونحن نبتسم بل ونهنئ الكفرة على ذبحهم لنا نشراً للأمن والرخاء !!، ومن اعترض انطرد ورمتني بدائها وانسلت وكاد المريب أن يقول خذوني، كل ذلك تصورتُه وتخيلته، ولكن ما أحزنني وكدت أجزع بسببه وانتابتني الحيرة تجاهه، أن أجد السيف على رقبتي والعدو قد داهم بلدي التي أحبها وأحب أهلها وأشاهد آثار الدماء وأسمع صراخ النساء والأطفال، وبدلاً من نصرة المسلمين لنا أسمع

خذلانًا وتخذيلاً، فهذا يدس رأسه في الرمال وكأن دماء المسلمين لا تعنيه، والثاني يتبجح أكثر ويقول: لا تعينوهم، والثالث ينساني حتى في دعائه، وإذا تذكر تذكر قضية فلسطين وكأنها تفترق عن قضيتي، والمذابح هناك تفترق عن المذابح التي تجري معي، والرابع اعتبره قتال فتنة، وأن المسلمين يقتل بعضهم بعضًا، وذلك لوجود بعض المنافقين في صفوف الكفرة الذين انتهكوا حرمة البلاد والعباد.

صورة محزنة من شأنها أن تقطع ما أمر الله به أن يُوصل، ولا يمكن أن تتحقق بها أخوة إيمانية، كلمات تصادم الشرع والواقع ولا يمكن احترامها ولا توقيرها، وإن التمست أنا عذرًا لأهلها فما هو شعور المسلمة التي ينُتهك عرضها والصغار الذين يواجهون هذه الهجمة التتارية البربرية في دنيا، افتقدت معاني الشفقة والرحمة من القريب والبعيد قبل افتقادها لمعاني الفقه والدين.

لقد اتفق العلماء على أن جهاد الكفار ودفعهم عن ديار المسلمين فرض عين، فإذا لم تحصل الكفاية بأهل بلدي انتقل الوجوب إلى الأقرب فالأقرب، فالمسلمون كلهم يد

على من سواهم، وإذا تعين الجهاد خرجت المرأة دون استئذان الولي والزوج، وخرج الولد دون استئذان والديه، والعبد دون استئذان سيده، والمدين دون استئذان صاحب الدين، كل بحسبه وبما يستطيعه من دفع الكفار عن هذا البلد الغالي، ولا يشترط وجود قيادة فإن استطاعوا تقديم الأصلح فعلوا .

قال الجصاص : « ومعلوم في اعتقاد جميع المسلمين أنه إذا خاف أهل الثغور من العدو ولم تكن فيهم مقاومة لهم فخافوا على بلادهم وأنفسهم وذراريهم أن الفرض على كافة الأمة أن ينفر إليهم من يكف عاديتهم عن المسلمين، وهذا لا خلاف فيه بين الأمة إذ ليس من قول أحد من المسلمين إباحة القعود عنهم حتى يستبيحوا دماء المسلمين وسبي ذراريهم، فليخشى من يخذل إخوانه المسلمين أن يخذله الله في موطن يحتاج فيه لنصرته، فقد جرت السُنن بذلك، فمن قدَّم يد العون فلنفسه أعان، ومن فرَّج كربة أخيه فرَّج الله كربته، والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه، والجزاء من جنس العمل، اعمل ما شئت كما

تدين تُدان، أما نحن فقد نفضنا أيدينا وقلوبنا من المخلوقين، وحسبنا الله ونعم الوكيل ﴿ **أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ** ﴾ [الزمر : ٣٦] .

لن نلتفت لشرعية دولية، ولا لهيئات ومؤسسات مشبوهة تكيل بمكيالين لا تبالي بدمائنا ودماء المسلمين التي تسيل أنهاراً هنا وهناك، وتقيم الدنيا ولا تقعدها من أجل حقوق الحيوان أو من أجل الكفرة الذين هم أهون على الله من الجعلان، ولا يسعنا ونحن نجاهد العدو بالنفس والمال من أن نضم إلى ذلك جهاد الكلمة، فالكلمة خطورتها كبيرة، وكم من كلمة أورثت حزنًا طويلاً وأوقعت في البلاد والعباد إرجافًا وتخذيلاً، وكم من كلمة أيضًا كانت أوقع من الحسام المهند، ولا حجر على سعة رحمة الله، فالبلاد تفتح بالقرآن كما تفتح بالسيف والسنان، واعلموا أن الخوف إنما يكون من الله وحده، فمن خاف الله خافه أعداؤه، ومن لم يخش الله خاف من كل شيء ﴿ **فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** ﴾

[آل عمران : ١٧٥] .

قضيتنا وقضايا المسلمين ما يصح أن تسقط بالتقادم فمن ديست مقدساته وانتهكت حرماته، وسُفكت دماؤه للحظة وجب نصرته، فكيف يكون الحال مع من يعاني ذلك سنوات، ما يليق أن يعترينا النسيان لواجبنا ولحقوق المسلمين المسحوقين من حولنا، فالله سائلنا عن ذلك، وعند الله تجتمع الخصوم، والكل موقوف به فأعدوا للسؤال جوابًا.

بكى يونس بن عبيد عند موته وسُئل عن سبب بكائه فقال: ـ وهو من هو ـ ما أغبرت قدمي في سبيل الله، ومن لم يغزو ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق، وكان أويس بن عامر ـ سيد سادات التابعين ـ يعتذر إلى ربه من أن يبيت شبعانًا وفي الأرض ذي كبد رطبة جائع، وكان يرقع ثوبه ـ رحمه الله ـ، فإذا تنوعت أمامك الأكلات فتذكر إخوانًا لك في العقيدة لا يجدون رصيفًا آمنًا يسكنونه، ولا كسرة خبز يأكلونها، وإذا جلست بين أهلك وعيالك آمنًا في سربك فكيف يكون حالك إذا تبدلت المواقع وعانيت ما يعانيه إخوانك من انتهاك عرض وذبح والد وولد، تذكر كيف فُتحت عمورية لأجل امرأة كُشفت عورتها،

فاستصرخت وبلغ ذلك المعتصم فركب فرسه وتبعه الجيش وفتح عمورية، ثم قال : أين التي استصرخت ؟ .

وشهد النبي ﷺ حلفًا في دار عبد الله بن جدعان في الجاهلية، وكان الحلف لنصرة المظلوم، وقال ﷺ : « **لو دُعيتُ به في الإسلام لأجبت** »، والمظلوم اليوم هو المسلم الذي يقول : رضيت بالله ربًا وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ نبيًا ورسولاً، وحكى لنا سبحانه قصة ثمود قوم صالح مع الناقة عندما خرج قدار بن سالف بعقر الناقة برضى قومه، قال تعالى : ﴿ **فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴿١٥﴾** ﴾ [الشمس : ١٤-١٥] .

وحرمة المسلم أعظم من حرمة ناقة صالح، بل وأعظم من حرمة الكعبة المشرفة، كان ابن عباس رضي الله عنهما ينظر إلى الكعبة ويقول : إن الله عظَّمك وشرَّفك وحرمك، وإن المؤمن أعظم حرمة عند الله منك .

عباد الله :

من جاهد فإنما يجاهد لنفسه، وإن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم، وإن أسأتم فلها، ومن عمل صالحًا فلنفسه ومن

أساء فعليها، ولن نُهزم من قلة، وإنما النصر صبر ساعة ولا عز إلا في طاعته سبحانه، والذل والصغار على من خالف أمره ﴿ **وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** (١٣٩) ﴾ [آل عمران : ١٣٩].

ولا تجزعوا من ضعفكم واستضعافكم، فما النصر إلا من عند الله، ﴿ **وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** (٢٦) ﴾ [الأنفال : ٢٦] .

اللهم إليك نشكو ضعف قوتنا، وقلة حيلتنا، وهواننا على الناس، يارب المستضعفين أنت ربنا، إلى من تكلنا، أإلى بعيد يتجهمنا، أم عدو ملكته أمرنا، إن لم يكن بك علينا غضب فلا نبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لنا، نعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بالله، اللهم بك نستغيث وبك نستجير، فاجبر كسرنا، وارحم ضعفنا، وانصرنا على عدوك وعدونا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

ثمار تدبر القرآن الكريم

بسم الله، والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه .

أما بعد :

فالقرآن هو كلام الله، وهو أحسن الكلام، هو حبل الله المتين والذِّكر الحكيم والصراط المستقيم، أنزله سبحانه على نبيه ﷺ وتعبدنا بتلاوته، من عمل به أُجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هُديَ إلى صراط مستقيم، لا تشبع منه العلماء، ولا تلتبس به الألسن، ولا تزيغ به الأهواء، من تركه من جبار قصمه الله، أنزله سبحانه لينذر من كان حيًّا ويحق القول على الكافرين .

قال : ﴿ **لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ** ﴾ [الحشر : ٢١]، فإذا كان هذا شأن الجبل فكيف يكون حال المكلفين ؟!، وهل يليق بهم العبث والمزاح واللعب أثناء سماع الآيات البينات ؟، لقد

بلغ التدبر في آيات الله كل مبلغ، فكان الواحد يمر بقوله تعالى: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا (١٠٩)﴾ [الإسراء: ١٠٩]، فيسجد ثم يقول لنفسه هذا السجود فأين البكاء، وسمع أبو الدحداح قوله تعالى: ﴿مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٥]، فقال: أوَ يَقبل الله منا القرض، فتصدق ببستان له فيه ستمائة نخلة.

ثم ذهب لزوجته يخبرها، فقالت: بشَّرك الله بالخير، ولم تلطم خداً أو تشق جيباً، أو تقول له ضيعتنا، بل عمدت إلى صغارها، تخرج ما في جيوبهم وأيديهم من تمر، لأن البستان قد صار لله تعالى، وكانوا لربما قرأوا الآية الواحدة طوال الليل يتدبرون معناها، فقد قامت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما الليل كله تردد قوله تعالى: ﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ (٢٧) إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ (٢٨)﴾ [الطور: ٢٧-٢٨].

وقام سعيد بن جبير - رحمه الله - بقوله: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لا

يُظْلَمُونَ (٢٨١) ﴾ [آل البقرة : ٢٨١]، ويمر الواحد بالآية تبكيه كما صنع عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عندما مر بقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ ﴾ [يوسف : ٨٦]، سُمِعَ نشيجه من مؤخرة المسجد .

ولم يقتصر ذلك على الراسخين في العلم، حديثي العهد بمعرفة الإسلام، حكى عبد الواحد بن زيد قال : ركبنا سفينة فانكسرت بعرض البحر، فأوفأتنا إلى جزيرة، فرأينا رجلاً يعبد صنمًا، فقلنا ما تعبد ؟ فأشار لهذا الصنم، وقال : وأنتم ما تعبدون قلنا نعبد الذي في السماء عرشه، وفي الأرض سلطانه، وفي الأحياء والأموات قضاؤه، قال : فما دليلكم عليه؟، قلنا : بعث إلينا رسول الله، قال : وأين هو؟، قلنا قبضه الله إليه، قال : فما علامتكم عليه؟، قال : ترك لنا كتاب الملك، قال : أرونيه، قال عبد الواحد : فدفعنا له مصحفًا، قال : لا أحسن هذا (أي لا يحسن القراءة) .

يقول : فقرأنا له سورة من كتاب الله، وهو يبكي ويقول : ما ينبغي لمن كان هذا كلامه أن يُعصى، قال

عبد الواحد : فعلمناه من شرائع الإسلام حتى آوانا الليل فنمنا، فقال : أإلهكم الذي تعبدونه ينام؟، قلنا : مولانا حي قيوم لا ينام، قال : بئس العبيد أنتم تنامون ومولاكم لا ينام.

يقول عبد الواحد : فتعجبنا له، وبلغنا عبادان فدفعنا له مالاً، فقال سبحان الله، دللتموني على طريق لم تسلكوه إني كنت أعبد صنماً في البحر فلم يضيعني فكيف بعدما عرفته. وهذه القصة الطريفة التي حكاها ابن الجوزي تدل على مبلغ تدبر الرجل وفقهه رغم حداثة تدينه، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

خرج هارون الرشيد يوماً من مجلس الإمارة فاعترضه يهودي، وقال له : اتق الله فنزل هارون من على دابته وسجد على الأرض فقال له أتباعه إنه يهودي، قال هارون : «اتق الله »، ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ (٢٠٦)** ﴾ [البقرة : ٢٠٦].

فكان عملهم ووعظهم وتذكيرهم يدل على عظيم تدبرهم لآيات الله، ومن ذلك لما قدم سليمان بن عبد الملك المدينة، وذهب إليه الناس يهنئونه وامتنع أبو حازم فبعث له

سليمان يعاتبه، ويقول له : وجوه الناس زاروني وأنت لم تزرني، فقال له أبو حازم : أنت لم تعرفني قبل هذا وأنا لم أرك قبل هذا اليوم، قال يا أبا حازم، قل لي : لماذا نكره الموت، قال: لأنكم عمَّرتم الدنيا وخربتم الآخرة، فتخافون أن تخرجوا من العمران إلى الخراب، قال : فما لنا عند الله غداً، قال: اعرض نفسك على كتاب الله، قال: وأين أجده، قال: عند قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (١٣) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ (١٤) يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ (١٥) وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ(١٦)** ﴾ [الانفطار : ١٣ – ١٦]، وقال : فأين رحمة الله إذن؟ قال : ﴿ **قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ [الأعراف: ٥٦] فهذا التدبر يورث الحزن والفطنة ودقة التمييز بين الطيب والخبيث والفاسد والصحيح ويجعل الإنسان راغبًا راهبًا كما أنه يفضي إلى رسوخ الإيمان في القلب .

قال ابن القيم - رحمه الله - :

الناس ثلاثة : رجل قلبه ميت فذلك الذي لا قلب له، ليست الآية ذكرى في حقه، فهذا الثاني : رجل له قلب حي مستعد لكنه غير مستمع للآيات المتلوة التي يخبر بها

الله عن الآيات المشهودة إما لعدم ورودها، أو لوصولها إليه، وقلبُهُ مشغول عنها بغيرها، فهو غائب القلب ليس حاضرًا، فهذا أيضًا لا تحصل له الذكرى، مع استعداده ووجُود قلْبِه .

والثالث: رَجُلٌ حيٌّ القلب مستعدٌّ، تُليتْ عليه الآيات، فأَصْغَى بسمعه، وألقى السمع وأحضر قلبه، ولم يشغله بغير فهم ما يسمعه، فهو شاهدُ القلْب، مُلَقِي السمع، فهذا القسْمُ هو الذي ينتفعُ بالآياتِ المتلُوَّة والمشهودة .

فالأول : بمنزلة الأعْمَى الذي لا يُبْصِرُ .

والثاني : بمنزلة البصير الطامح ببصره إلى غير الجهة المنظور إليها، فكلاهما لا يَراه .

والثالثُ : بمنزلة البصير الذي قد حدَّق إلى جهة المنظور، وأتبعه بصرَهُ وقابل، وقابلهُ على توسُّط من البُعد والقرب، فهذا هو الذي يراه .

فسبحان من جعل كلامه شفاء لما في الصدور، فاعلم أن الرجل قد يكون له قلبٌ وقادٌ، مليءٌ باستخراج العِبَرِ، واستنباط الحِكَمِ، فهذا قلبه يوقعُهُ على التذكُّر والاعتبار، فإذا سمع الآيات كانت له نُورًا على نُورٍ، وهؤلاء أكمَلُ

خلق الله، وأعظمهم إيمانًا وبصيرَة، حتى كأن الذي أخبرهم به الرسُولُ مُشاهدٌ لَهم، لكن لم يشعُرُوا بتفاصيله وأنواعه، حتى قيل : إن مثل حال الصدِّيق مع النبي ﷺ كمثل رجُلين دخلا دارًا، فرأى أحدُهُما تفاصيل ما فيها وجزئياتها، والآخر وقعت يداه على ما في الدار ولم يرى تفَاصيلها ولا جُزئياتها، لكن عَلِمَ أن فيها أُمُوراً عظيمة، ولم يُدْرِكْ بصرُهُ تفاصيلها، ثم خرجا فسأله عمَّا رأى في الدَّار فجعل كلما أخْبَرهُ بشيءٍ صدَّقهُ، لما عنده من شواهد، وهذه أعلى الدرجات الصِّديقيَّة، ولا تستَبْعدُ أنْ يَمُن اللهُ المنَّانُ على عَبْد بمثل هذا الإيمَانِ فإنَّ فَضْلَ اللهِ لا يدخُلُ تحْتَ حَصرٍ ولا حُسْبَانٍ .

فصاحبُ هذا القلب إذا سَمِعَ الآيات وفي قلبه نُورٌ من البصيرة ازداد بها نُوراً على نوره، فإن لم يكن للعبد مثلُ هذا القلب فألقى السمع وشهد قلبه ولم يغب حصل له التذكر أيضًا، ﴿ **فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ** ﴾ [البقرة : ٢٦٥]، والوابلُ والطَّلُّ في جميع الأعمال وآثارهَا وموجبَاتها، وأهلُ الجنَّة سابقُون مُقرَّبُون وأصحابُ يمينٍ، وبينهما في درجات التفصيل ما بينهُما ؟ .

وقد وردت الآيات تستحث العباد على التدبر:

■ قال تعالى: ﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا (٨٢) ﴾ [النساء : ٨٢].

■ وقال: ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الأَوَّلِينَ (٦٨) ﴾ [المؤمنون : ٦٨].

■ وقال: ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ (٢٩) ﴾ [ص : ٢٩].

■ وقال سبحانه: ﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (٢٤) ﴾ [محمد : ٢٤].

كما وردت السُنن توضح قيمة التدبر:

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بتُّ عند خالتي ميمونة فتحدَّث رسول الله ﷺ مع أهله ساعةً ثم رَقَدَ، فلمَّا كان ثُلُثُ الليل الآخر قَعدَ فنَظَرَ إلى السماء فقَالَ: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ (١٩٠) ﴾ [آل عمران : ١٩٠]، ثم قام فتوضَّأ واستَنَّ فَصَلى، إحدى عشرَةَ ركعةً ثُمَّ أذَّن بلالٌ فصلَّى ركعتين ثم خرج فَصَلى الصُّبح » [متفق عليه].

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : صلَّى رسول الله ﷺ يومًا صَلاةً فأطال فيها، فلما انصرفَ قُلْنَا ـ أو قالوا ـ يا رسولَ الله أطَلْت اليوم الصلاة، قال : « **إني صَلَّيْتُ صَلاةَ رَغْبةٍ ورهبةٍ، سألتُ الله عز وجَلَّ لأمَّتي ثلاثًا، فأعطاني اثنتين، ورَدَّ عليَّ واحدة، سألتُهُ ألا يُسلطَ عليهم عدُوًّا مِنْ غيرهم، فأعطانيها، وسألتُهُ أن لا يُهْلِكهُمْ غَرَقًا، فأعطانيها، وسألته أن لا تجعل بأسهم بينهم، فردَّها عليَّ** » .

[رواه ابن ماجه والترمذي وقال حسن صحيح].

وعن حذيفة رضي الله عنه قال : « **صليتُ مع رسول الله ﷺ ذات ليلة، فافتتح بالبقرة، فقلتُ يركع عند المئة، ثم مضى، فقلتُ يُصلي بها في ركعة، فمضى، ثم افْتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرآها يقرأ مترسلاً، إذا مرَّ بآية فيها تسبيحٌ سبَّح، وإذا مرَّ بسؤالٍ سأل، وإذا مرَّ بتعوذٍ تعوَّذ ...** » [رواه مسلم] .

وورد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال لي النبي ﷺ : « **اقرأ عليَّ** »، قُلْتُ : أقْرَأُ عليك وعليك أُنزل؟، قال :

« فإني أحبُّ أن أسمعهُ من غيري »، فقرأت عليه سورة النساء حتى بلغت ﴿ **فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا** (٤١) ﴾ [النساء : ٤١]، قال : « **أمسك** »، فإذا عيناهُ تَذْرِفان » [رواه البخاري ومسلم] .

وعن عائشة رضي الله عنها زوْج النبي ﷺ قالتْ : « كان أوَّلُ ما بُدئَ به رسول الله ﷺ من الوحي الرُّؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثْلَ فَلَقِ الصبح، ثم حُبِّبَ إليه الخلاء، فكان يلحق بغار حِراءَ يتحنَّث فيه - وهو التعبد - اللَّيالي أولاتِ العَدَدِ » [رواه البخاري ومسلم].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما : « ركعتان مُقتصدتان في تفكُّرٍ خيرٌ من قيام ليلةٍ بلا قلب » .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان إذا تلا هذه الآية ﴿ **أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ** ﴾ [الحديد : ١٦]، قال : « بلَى يارب، بلى ياربِّ » .

وعن طاوسٍ قال : « قال الحواريُّون لعيسى ابن مريم : يا رُوحَ الله، هل علَى الأرض اليوم مِثْلك ؟، فقال نَعَمْ، من كان منطقة ذِكرًا، وصمْتُهُ فكرا ونظرهُ عِبرةً، فإنه مثْلي » .

قال عبد الله بن المبارك : « مرَّ رجُلٌ براهبٍ عند مقبرةٍ ومزبلةٍ، فناداهُ فقال : يا راهبُ، إن عندك كنزيْن من كنوز الدُّنْيَا، لك فيهما مُعتبرٌ، كَنْزُ الرِّجال، وكَنْزُ الأموال » .

وعن محمد بن كعب القُرَظِيِّ قال : « لأن أقرأ في ليلتي حتى أُصبح بـ ﴿ **إِذَا زُلْزِلَتِ** ﴾ و ﴿ **الْقَارِعَةُ** ﴾، لا أزيد عليهما وأتردَّدُ فيهما وأتفكر أحَبُّ إليَّ من أن أهُزَّ القُرآنَ ليلتي هزًا - أو قال - : أنثُرُهُ نَثْرًا » .

قال الفُضيلُ : « إنما نَزَل القُرآنُ ليُعملَ به فاتخذ الناس قراءَتُهُ عَمَلاً، قيل : كَيْف العملُ به ؟، قال : ليُحلُّوا حَلالَه، ويُحَرِّمُوا حرامهُ، ويأتمِروا بأوامره، وينتهُوا عن نواهيه، ويَقفُوا عند عجائبه » .

قال ابنُ القيم : أما التأمُّلُ في القرآن فهو تحديق نظر القلْب إلى معانيه ، وجمع الفكر على تدبُّره وتعقلُّه وهو المقصود بإنزاله، لا مجرد تلاوته بلا فهم ولا تدبُّر، قال الله تعالى : ﴿ **كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الأَلْبَابِ** ﴿٢٩﴾ ﴾ [ص: ٢٩]، وقال تعالى : ﴿ **أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا** ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد: ٢٤] وقال

تعالى : ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾ [المؤمنون :٦٨]، وقال تعالى : ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾﴾ [الزخرف : ٣] .

وقال الحسن : « نَزَل القرآن ليُتدبَّر ويُعْمل به، فاتخذُوا تلاوته عمَلاً » .

فليس شيءٌ أنفع للعبد في مَعَاشِه ومَعَادِه وأقْرَبَ إلى نجاته من تدبُّر القُرآن، وإطالَة التَّأمُّل، وجمع الفكر على معاني آياته، فإنها تطْلعُ العبد على مَعَالم الخيْر والشرِّ بحذافيرها، وعلى طُرُقاتهما وأسبابهما وغايتهما وثمراتهما، ومآل أهلهما، وتَنقل في يده مفاتيح كُنُوز السعادة والعُلُوم النافعة وتُثبتُ قواعد الإيمَان في قلبه، وتُشيِّدُ بُنْيَانَهُ، وتُوطِّدُ أرْكَانَهُ، وتُريه صُورَةَ الدُّنيا والآخرة، والجنَّة والنَّار في قَلْبه، وتُحْضرُه بين الأُمَم وتُرِيه أيَّامَ الله فيهم وتبصّرُهُ مواقعَ الْعبَر، وتُشْهدُهُ عدل الله وفضله، وتعرفه ذاته وأسماءَهُ وصفاتهُ وأفعالَهُ، وما يُحبُّه وما يُبْغضُهُ، وصِرَاطَهُ الْمُوصِّلَ إليْه، وما لسَالكيه بَعْدَ الوُصُول والقُدُوم عليه، وقَوَاطعَ الطَّريق وآفَاتها، وتُعرفُهُ النَّفسَ وصفاتها، ومُفسدات

الأعمالِ ومُصَحِّحاتِها، وتُعرِّفُه طريق أهل الجنة وأهل النار وأعمالهم، وأحوالُهم وسيماهُم، ومراتبَ أهل السعادة وأهل الشَّقاوَة، وأقسَام الخلقِ واجتماعهُم فيما يجتمعُون فيه وافتراقَهم فيما يفْتَرِقُون فيه .

وبالجملة : تُعرِّفُهُ الرب المدعُوَّ إليه، وطَرِيق الوُصُولِ إليه، وما لَهُ مِنْ الكَرَامَةِ إذا قدم عَلَيْه .

وتُعرِّفُه مقابل ذلك ثلاثة أخرى : ما يدعو إليه الشيطانُ والطريق المُوصِلَةَ إليه، وما للمُسْتَجِيبِ لَدَعْوتِه من الإهانة والعذاب بعد الوُصول إليه .

وفي تأمُّل القرآنِ وتدبُّره وتفَهُّمِه أضْعَافُ أضْعَافِ ما ذَكَرْنَا من الحِكَمِ والفوائد .

عباد الله : القرآن ليس كتاب مطالعة ولا جغرافيا، بل هو كلام رب العالمين، فتدبروه ولا تنثروه نثر الرمل، ولا تهزوه هز الشِّعر، قفوا عند عجائبه، حركوا به القلوب .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

كلا إنّها تذكرة

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد :

فإنّي مُحذّرك من دار منقلبك إلى دار إقامتك، وجزاء أعمالك، فتصير في باطن الأرض بعد ظهرها، فيأتيك منكر ونكير، فيقعدانك فينتهرانك، فإن يكن الله معك، فلا فاقة ولا حاجة، ولا بأس ولا وحشة، وإن يكن غير ذلك، فأعاذني الله وإياك يا أخي من سوء المصرع، وضيق المضجع، ثم تبلغك صيحة النشور، ونفخة الصور، وقيام الخلائق لفصل القضاء، وامتلأت الأرض بأهلها، والسماوات بسكانها فباحت الأسرار، وسُعرت النار، ووضعت الموازين، ونُشرت الدواوين ﴿ **وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ** (٦٩) ﴾ [الزمر: ٦٩].

فكم من مفتضح ومستور، ومُعذّب ومرحوم، وكم من

هالك وناجٍ، فيا ليت شعري، ما حالي وحالك يومئذ، فإنَّ هذا ما هدم اللذات، وسلى عن الشهوات، وقصّر من الأمل، وأيقظ النائم، ونبَّه الغافل .

أعاننا الله وإيّاك على هذا الخطر العظيم، وأوقع الدنيا من قلبك وقلبي موقعها من قلوب المتقين، فإنما نحن له وبه، والويل لمن كانت الدنيا أمله، والخطايا عمله، عظيم بطنته، قليل فطنته، عالم بأمر دنياه، جاهل بأمر آخرته، أعربنا الكلام فما نلحن، ولحنا في الأعمال فما نُعرب، كلنا قد حسن ظاهره، فمن منَّا حسَّن باطنه، نُرقّع دنيانا بتمزيق ديننا، نُبيّض الثوب في الوقت الذي نُدنّس فيه الدين، ويحافظ الواحد منَّا على نعله، بينما قد لا يُحافظ على دينه، ويُكرم نفسه بما فيه إهانتها، سهُل وخفَّ الكلام فتكلمنا، ورأينا العمل كأمثال الجبال، فنكصنا على عقبنا القهقري، وحدث الانفصال الرهيب بين الدنيا والآخرة والأرض والسماء... كان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول: أخاف أن يُقال يوم القيامة يا عويمر، هل علمت؟ فأقول نعم، فيُقال: ماذا عملت فيما علمت؟».

وأنت بدورك علمت الكثير، فلماذا تخلَّفَ الفعل عن القول، ما الذي غرّك من الدنيا؟ قفْ ساعة وتفكّر مَنْ خلقك، ولماذا خلقك، وإلى أين المصير، وهل حالك يصلح للإجابة على الأسئلة الثلاثة التي ستوجه لك حتمًا، مَنْ ربك؟ وما دينك؟ وماذا تقول في الرجل الذي بُعث فيك؟، أراحل أنت أم مُقيم؟، وإذا كنت مرتحلاً فإلى أين؟ أإلى جنَّة أم إلى نار؟، الحياة بغير الله سراب ﴿ **يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾** ﴾ [النور: ٣٩].

لقد افتضح أمر البعض على أمثال أبي جعفر المنصور، وقال: كلكم يمشي رويداً، كلكم يطلب صيداً، فكيف يكون حالك إذا وقفت بين يدي من لا تخفى عليه خافية ﴿ **أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾** ﴾ [المجادلة: ٦].

إنَّ السعيد من صرف الله أمله إلى ما يبقى، وقطعه عما يفنى، وأعانه في دار الفناء على عمارة دار البقاء، والويل الطويل والحسرة التي لا تزول لمن أعرض عن الكتاب

والسُّنَّة، ولم ينهَ نفسه عن الهوى، تفكّر في الدنيا ولذّاتها وشهواتها، فاعتبر منها بها، ما تكاد شهواتها تنقضي حتى تكدرها مرارتها ولئن لم يكن فيها عبرة لمن اعتبر إنَّ فيها مواعظ لمن ادَّكر، لقد غفلت وليس بمغفول عنك، وأملك دنيا والموت يطلبك، وبنيت قصراً والقبر مسكنك...

كلا إنها تذكرة، فلا تتبرم، فقد روجع بذلك من هو أفضل منك صلوات الله وسلامه عليه؛ لانصرافه عن ابن أم مكتوم الأعمى، وإقباله على صناديد وأشراف قريش لدعوتهم، نزل قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ۝١ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ ۝٤ أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝١١﴾ [عبس: ١ - ١١].

عاتبه سبحانه بسبب ابن أم مكتوم حتَّى لا تنكسر قلوب الضعفاء، رغم أنَّه ﷺ كان يطمع في إيمان أشراف قريش، وسيُسلم بإسلامهم خلق كثير، أي أنه ﷺ كان في

مهمة دعوية، ولم يكن انصرافه لأمر دنيوي، فما الذي يُقال لمن باع دينه بدنياه، أو باع دينه بدنيا غيره.

كلا إنها تذكرة، فلا تستنكف عن قبولها، فإنَّ الذكرى تنفع المؤمنين، واحذر النسيان الذي يُدمر دينك ودنياك، فقد قال تعالى عن المنافقين: ﴿ **يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا (١٤٢)** ﴾ [النساء: ١٤٢]، وقال: ﴿ **نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ** ﴾ [التوبة: ٦٧]، وقال: ﴿ **نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ** ﴾ [الحشر: ١٩].

إنَّ الشيطان جاثم على قلب العبد، فإذا سها وغفل وسوس له الشيطان، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما، ومن شأن الشيطان إنساء العبد مصالحه ﴿ **وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ** ﴾ [الكهف: ٦٣]، ولذلك قال سبحانه: ﴿ **وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا (٢٤)** ﴾ [الكهف: ٢٤].

إن الذكر من أعظم الأسلحة التي تحسم المعركة مع شياطين الإنس والجن، ومع ذلك صار البعض ينظر إليه على

أنه دروشة، أو أنه خاص بالصوفية، وقد نُسارع باتهام من حرَّك لسانه بذكر الله بأنه مرائي!! وهذا من قصور النظر، ومن حظوظ الشيطان، فإنَّ الطاعات ما شُرِعت إلاَّ إقامةً لذكر الله ﴿ **وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي** ﴿١٤﴾ ﴾ [طه: ١٤]، وقال تعالى: ﴿ **فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ** ﴾ [النساء: ١٠٣]، وقال: ﴿ **فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا** ﴾ [البقرة: ٢٠٠]، وقال: ﴿ **فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ** ﴾ [البقرة: ١٩٨]، وقال: ﴿ **وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ** ﴾ [البقرة: ٢٠٣] وقال: ﴿ **وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ** ﴿٤١﴾ ﴾ [آل عمران: ٤١].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: « كان النَّبيُّ ﷺ يذكر الله على كل أحيانه » [رواه مسلم].

وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما: « إنَّا كنَّا لنعد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مئة مرة يقول: «**رب اغفر لي، وتب عليَّ، إنك أنت التواب الرحيم**».

سمعوه ﷺ وهو يقول ذلك، وهو سيد المخلصين، وقالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، لما نزلت: ﴿**إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ**﴾ [النصر]، كان رسول الله ﷺ يُكثر في ركوعه وسجوده من قول: «**سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي**» يتأول القرآن. [رواه البخاري].

وعنها أيضًا قالت: ما صلَّى رسول الله ﷺ صلاة بعد أن نزلت عليه سورة: ﴿**إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ**﴾ إلاَّ يقول: «**سبحانك ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي**» [رواه البخاري].

والإسرار بالذكر في موطنه سُنَّة، والجهر في موضعه سُنَّة، وحسبُك أن تُكثر من ذكر الله، وأن تُخلص العمل له سبحانه، فترك العمل من أجل الناس رياء، والعمل من أجل الناس شرك، والإخلاص أن يُعافيك الله منهما، والحذر من احتقار شأن الذكر، فهو من أعظم الطاعات وأجلّ القربات.

ونحن في آونة تستدفع كل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، أن يُعظم حرمات الله، ومن جملة ذلك الأذكار، ومن الخطأ أن نُعوّل على الجدل والطول والأسباب المادية وحدها في مواجهتنا لأعداء الإسلام والمسلمين، وفي

خروجنا من هذا الواقع السَّيّئ، أو أن نظن أنَّ الأذكار نوع من اللعب، وتكريس للضعف الذي أصابنا.

إنَّ الأذكار سالمة عن كل معارضة في العسر واليسر، والقوَّة والضعف، بل قد نعجز عن كثير من صور القوَّة المادية، وتتحقق الخيرات والبركات للبلاد والعباد بذكر الله، فقد استعان السلف الصالح على فتح الحصون بكلمة: «لا حول ولا قوَّة إلاَّ بالله».

وقال ابن تيمية: آية الكرسي نافعة في دفع شياطين الإنس والجن، ومن قرأ الآيتين الأواخر من سورة البقرة كفتاه، وما تعوّذ أحد بمثل المعوذتين - «قل أعوذ برب الفلق»، و«قل أعوذ برب الناس» - .

وقال القرطبي: نزلتُ بالمهديّة ليلاً، فلدغتني عقرب، فتفكرتُ في نفسي، فوجدتُ أني نسيتُ الذكر - أي نسي أن يقول: «**أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق**»- .

وفي الحديث: «**ورأيت رجلاً من أمتي قد احتوشته الشياطين، فجاءه ذكر الله فطرد الشيطان عنه**» .

وورد: «**إنَّ الله يقول: أنا مع عبدي إن هو ذكرني وتحرّكت بي شفتاه**» فأبشر بهذه المعية.

وكان النَّبيُّ ﷺ يدعو: «**ربِّ أعنّي ولا تُعن عليَّ، وانصرني ولا تنصر عليَّ، وامكر لي ولا تمكر عليَّ، واهدني ويسر الهدى إليَّ، وانصرني على من بغى عليَّ..**» [رواه أبو داود والترمذي، وصححه الألباني]. ومن السبعة الذين يُظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلاَّ ظله: «**رجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه**» [رواه البخاري ومسلم].

وفي الحديث: «**لا يقعد قوم يذكرون الله - عزَّ وجل - إلاَّ حفَّتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده**» [رواه مسلم].

ومما يُقال عند الكرب والمصيبة: «**لا إله إلاَّ الله الحليم، سبحان الله، وتبارك الله رب العرش العظيم، والحمد لله رب العالمين**» [رواه البيهقي بإسناد حسن].

وفي الحديث: «**من تعار من الليل فقال: لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له، له الملك وهو على كل شيء قدير،**

وسبحان الله والحمد لله، ولا إله إلاَّ الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوَّة إلاَّ بالله، ثم قال: رب اغفر لي - أو قال: ثم دعا - استُجيب له، فإن عزم فتوضأ، ثم صلَّى قُبلت صلاته» [رواه البخاري]. وقال رسول الله ﷺ: «**من صلَّى عليَّ واحدة، صلَّى اللهُ عليه عشراً**» [رواه مسلم].

وكان النَّبيُّ ﷺ يقول عند الكرب: «**لا إله إلاَّ الله العظيم الحليم، لا إله إلاَّ الله رب العرش العظيم، لا إله إلاَّ الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم**»

[رواه مسلم].

وقال رسول الله ﷺ: «**يا فلان، إذا أويت إلى فراشك، فقل: اللهم أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك، وفوّضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلاَّ إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت، فإنَّك إن متَّ من ليلتك متّ على الفطرة، وإن أصبحت أصبت خيراً**» [متفق عليه].

وقال رسول الله ﷺ: «**من قال** - يعني إذا خرج من بيته - : **بسم الله توكلتُ على الله، ولا حول ولا قوَّة إلاَّ بالله، يُقال له هُديت وكُفيت، ووُقيت، وتنحَّى عنه الشيطان**» [رواه أبو داود والترمذي وحسَّنه]، زاد أبو داود: «**فيقول** - يعني الشيطان لشيطان آخر - : **كيف لك برجل قد هُدي وكُفي ووُقي؟**».

وكان النَّبيّ ﷺ إذا خرج من بيته قال: «**بسم الله توكَّلتُ على الله، اللهم إني أعوذُ بك أن أضلَّ أو أُضل، أو أذلَّ أو أُذل، أو أظلِمَ أو أُظلم، أو أجْهَلَ أو يُجهل عليَّ**» [رواه أبو داود والترمذي، وقال: حسن صحيح].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «حسبنا الله ونعم الوكيل، قالها إبراهيم عليه السلام حين أُلقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا: إنَّ الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم، فزادهم إيمانًا، وقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل» [رواه البخاري].

خذوا بالأسباب المادية ما استطعتم، ولكن لا تنسوا ذكر الله، فهو حال جميع الأنبياء والمرسلين ومن تابعهم بإحسان

إلى يوم الدين، هذا حال صغارهم وكبارهم، حال أصحاب الكهف، وهم يقولون: ﴿ **رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا** ﴿١٠﴾ ﴾ [الكهف: ١٠]، وحال الغلام في قصة أصحاب الأخدود، وهو يقول في كل مرة: «**اللهم اكفنيهم بما شئت**».

وحال الأنبياء أعظم وأكمل، فهذا نبيُّ الله إبراهيم عليه السلام يقول: ﴿ **إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ** ﴿٩٩﴾ ﴾ [الصافات: ٩٩]، ونبيّ الله لوط عليه السلام يقول: ﴿ **إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي** ﴾ [العنكبوت: ٢٦].

ونبيّ الله موسى عليه السلام يقول: ﴿ **وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ** ﴿٨٤﴾ ﴾ [طه: ٨٤]، ولما قالت له بنو إسرائيل: ﴿ **إِنَّا لَمُدْرَكُونَ** ﴾ [الشعراء: ٦١]، قال: ﴿ **كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ** ﴿٦٢﴾ ﴾ [الشعراء: ٦٢].

وهذا نبيُّ الله يونس عليه السلام يقول وهو في جوف الحوت: ﴿ **لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ** ﴿٨٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ٨٧]

إنَّ الذكر حياة للقلب، وقوَّة للنفس، وأمان من النفاق، به تُستجلب النعم، وتُستدفع النقم، ويتحقق به الفلاح والفوز ونور في الدور كلها، يُذيب قسوة القلب، ويُذهب مخاوفه، يُسهل الصعب، ويُيسّر العسير، يُؤمن العبد من الحسرة، وهو أيسر العبادات وأفضلها.

وأفضل أهل كل طاعة أكثرهم فيها ذكرًا لله، فأفضل المجاهدين الذاكرين، لا داعي للقول بأنَّ المعركة لا تُحسم إلاَّ بالسيف، ولكل مقام مقال، قال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنفال: ٤٥].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فهرس

المقدمة ٣
أين المفر ٩
إن ربك لبالمرصاد ٢٢
لكل نبأ مستقر ٣٦
يُدمرون أنفسهم بأنفسهم ٤٩
الموالاة والمعاداة ٦٢
دعوة الحق لا تموت بموت رائدها ٧٧
الوصية بالأشهر العربية ٨٨
أليس منكم رجل رشيد ١٠١
كيف تتم السعادة الحقيقية ١١٤
التحزب ١٢٧
تقلب الزمان بأهله ١٣٨
ماذا نفعل إذا داهم العدو ديارنا ١٤٩
تدبر القرآن ١٦٦
كلا إنها تذكرة ١٧٩
الفهرس ١٩٢

- أين المفر
- إن ربك لبالمرصاد
- لكل نبأ مستقر
- كلا إنها تذكرة
- يدمرون أنفسهم بأنفسهم
- الموالاة والمعاداة
- دعوة الحق لا تموت بموت رائدها
- الوصية بالأشهر العربية
- أليس منكم رجل رشيد
- كيف تتم السعادة الحقيقية
- التحزب
- تقلب الزمان بأهله
- ماذا نفعل إذا داهم العدو ديارنا
- تدبر القرآن

دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع
١٧-١٩ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
تليفون وفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٥٤٤٦٤٩٦/٠٢-٥٢٢٢٠٠
E-mail:dar_aleman@hotmail.com
دار القمة